

تمكين  
اللغة العربية  
ع. أمراء

وزارة الثقافة  
الهيئة العامة السورية للكتاب

١

# اللغة العربية

«واقعا وارتقاء»

الأستاذ الدكتور محمود السيد

س  
و  
أ  
ب  
ظ  
هـ

ب  
ظ  
هـ

ب  
ظ  
هـ

الأستاذ الدكتور محمود السيد

# اللغة العربية

« واقعاً وارتقاءً »

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

### تصدير

هذه باقة من الدراسات في رحاب لغتنا العربية، تهدف إلى تبيان واقعها والارتقاء به، وكان لابد قبل البحث في هذا الواقع من إطلالة على العلاقة بين لغة الغالب والمغلوب وهي علاقة تفاعل أم تغيب؟ وأبانت الدراسة في هذا الموضوع أن البشرية عرفت عبر تاريخها تفاعلاً إيجابياً خلافاً إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية، إذ إنها احترمت الثقافات الأخرى ولغاتها وقدرت أصحابها على الرغم من قوة العرب آنذاك وهيمنتهم على شؤون الحياة كافة، وذلك خلاف ما نلاحظه في حياتنا المعاصرة في ظل العولمة ولغتها الإنجليزية، إذ إن ثمة هيمنة للغة الأقوياء على الضعفاء، ومخططاً لاستبعاد اللغات الأم للمجتمعات، وقصداً لتغيب هويتها وذاتيتها الثقافية.

وإذا كانت هذه الدراسات تهدف إلى تبيان واقع العربية والكشف عن التحديات التي تواجهها على مختلف الصعد إن في العملية التعليمية التعلمية سياسة ومناهج، وإن في خارج نطاق هذه العملية في المجتمع، وإن على الشبكة (الإنترنت) من حيث المحتوى الرقمي بالعربية والترجمة فما كانت دراسة هذا الواقع إلا لتؤدي إلى رسم خطة للارتقاء به في مختلف المجالات سياسة وتخطيطاً لغوياً وممارسة في العملية التعليمية التعلمية في جميع مكوناتها.

وتجدر الإشارة إلى أن دراسة الواقع لم تكن لتحول دون تبيان أهمية اللغة العربية وإظهار مكانتها والكشف عن أبعادها الوطنية والقومية والاجتماعية والتربوية والثقافية والأمنية والإبداعية.

ولما كانت سورية ذات تجربة ثرية وغنية في التعليم باللغة الأم على الصعيد القومي، كان الوقوف على هذه التجربة قبل حصول الدولة السورية على استقلالها وبعد حصولها عليه وبيان الإجراءات المتخذة لحماية اللغة والإنجازات التي تحققت أمراً على درجة كبيرة من الأهمية.

ومن المبادرات التي اعتمدها سورية لحماية اللغة العربية تشكيل لجنة التمكين للغة العربية بقرار من السيد الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية. ومن مهام هذه اللجنة وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية تستهدف الحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، ومتابعة خطوات التنفيذ بالتنسيق والتعاون مع الجهات المعنية.

وكان مفيداً الاطلاع على هذه التجربة الرائدة، وتبيان الإنجازات التي حققتها لجنة التمكين على أرض الواقع، وهذا ما تضمنه الفصل الأخير من هذه الدراسات. وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله فحسبنا أن نشير إلى أن أي ارتقاء للغتنا لا يمكن أن يحدث إلا بعد تعرف الواقع في إيجابياته وسلبياته، تعزيزاً للإيجابيات وتلافاً للسلبيات، وهذا ما حاولت هذه الدراسات أن تؤكد، ونأمل أن تكون ثمة فائدة في الاطلاع عليها. والله موفق

المؤلف

دمشق في ٢٠١٠/٣/١٥

## الفصل الأول

### لغة الغالب والمغلوب: تفاعل أم تغييب؟<sup>(\*)</sup>

(\*) بحث ألقى في ندوة «اللغة والهوية» التي أقامتها وزارة الثقافة بدولة قطر - الدوحة -

شباط ٢٠٠٩.

## الفصل الأول

### لغة الغالب والمغلوب: تفاعل أم تغييب؟

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف أولاً العلاقة بين الغالب والمغلوب كما أشار إليها العلامة ابن خلدون في مقدمته، ومن ثم نقدم نموذجاً في مجال التفاعل، ونموذجاً آخر في مجال التغييب، وقد اخترنا لغتنا العربية نموذجاً للتفاعل الخلاق إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية، كما اخترنا اللغة الإنجليزية في عصرنا الحالي، عصر العولمة، نموذجاً للتغييب والسعي إلى تهميش لغات المجتمعات غير الناطقة بالإنجليزية لصالح الإنجليزية وتوسيعها وانتشارها على حساب اللغات الأم لتلك المجتمعات. ونقف أخيراً على تبيان الموقف الذي ننشده للغتنا العربية لمواكبة روح العصر ومواجهة تحديات العولمة في جانبها المظلم.

#### أولاً- العلاقة بين الغالب والمغلوب

أشار العلامة «ابن خلدون» في مقدمته إلى أن المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، وعلل ابن خلدون هذا الافتداء بأن النفس أبداً تعتقد الكمال في من غلبها وتفتاد إليه، إما لنظرها بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب. ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها، بل وفي سائر أحواله. ويؤيد «ابن خلدون» رأيه قائلاً: «وانظر ذلك في الأبناء مع آباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم»<sup>(١)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون - دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان - بلا تاريخ - ص ١٤٧.

ويبين أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليها من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو الحال في الأندلس في هذا العهد - عهد ابن خلدون - مع أمم الجالقة فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم، والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء.

ومن الشواهد التي يقدمها «ابن خلدون» لتأييد وجهة نظره قوله: «وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فإنه من بابه، إذ إن الملك غالب لمن تحت يده، والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بأبائهم والمتعلمين بمعلميهم»<sup>(١)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى ميدان اللغات فإننا نلاحظ أن الأمم والشعوب أدركت في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية بين الناس، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطنعتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت، فاللغة الأكاديمية أو لغة بابل وآشور تلك التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم فترة من الزمن، ثم جاءت بعدها الأرامية والإغريقية واللاتينية ثم العربية، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية، وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعتها المحاولة أن تهيمن وتصبح لغة الناس كافة، إلا أن تلك المحاولات باءت بالإخفاق، وظل اختلاف الألسنة قائماً على أنه من آيات الله.

وعلى الرغم من أن اللسانين المعاصرين يرون أن جميع اللغات متساوية من وجهة نظرهم فإن هذه المساواة ما كانت إلا على صعيد المبادئ والنظريات، إذ تبين على الصعيد العملي أن اللغات لا يمكنها جميعاً أن تؤدي

(١) المرجع السابق.

الوظائف نفسها، فمن البدهي مثلاً أن اللغة غير المكتوبة لا تستطيع أن تكون وعاءً لعملية محو الأمية، وأنه من الصعب جداً تدريس المعلوماتية بلغة لا تشتمل على مصطلحات المعلوماتية، وتدريس النحو بلغة ليس ثمة فيها أصناف نحوية، وأنه يصعب اختيار لغة مستعملة من أقلية من السكان على أنها لغة توحيد لهذا البلد... الخ، وإذا أريد لأسباب سياسية استعمال مثل هذه اللغات لأداء هذه الوظائف كان لابد من سدّ العجز الذي تعاني منه، وتجهيزها لكي تنهض بهذا الدور.

ومن الملاحظ على الصعيد العالمي أن اللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب، فيغلب القوي منها الضعيف، وما يزال يصرعه حتى يقضي عليه، وأن بعض أفراد اللغة أو ألقاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة إلى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد إلى بلد، وعوامل الهجرة اللغوية تكاد تكون هي عينها عوامل الهجرة البشرية التي تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية... الخ<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت سنة الحياة أن الغلبة للأقوى فإننا نجد في ميدان الثقافت بين الشعوب والثقافات أن ثمة تفاعلاً خلاقاً يمكن أن ينشأ بين هذه الشعوب وتلك الثقافات، كما يمكن أن يكون ثمة هيمنة للقوي على الضعيف واستبعاد لهويته وتهميش لتقافته ولغته والسعي إلى أدها.

ونقد عرفت البشرية عبر تاريخها تفاعلاً إيجابياً خلاقاً تجلّى في ثقافتنا العربية الإسلامية ولغتها العربية الفصيحة، وتشهد البشرية حالياً وفي ظلال البعد المظلم من العولمة هيمنة للثقافة القطبية الواحدة ولغتها الواحدة على الصعيد العالمي، وهذا ما يشكل خطراً على الذاتية الثقافية للأمم ولغاتنا الأم.

(١) حامد عبد القادر - بين العربية والفارسية -- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق -



## ثانياً - لغة الغالب تفاعل: العربية أنموذجاً

لقد كانت لغتنا العربية أنموذجاً للتفاعل الخلاق بين الغالب والمغلوب، فلغتنا العربية في بداية انطلاقها إبان الفتح الإسلامي، وتوسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب في بقاع من الأرض لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة، وكان ذلك حرياً أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيق وإطار محصور في الجزيرة العربية، وأن يقضي عليها، ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم الأخرى التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة، ولكن اللغة العربية ازدادت اتساعاً في ميادين المعرفة، وانتشاراً في أرجاء العالم المعروف آنذاك، وتدفق الشعر والنثر والتأليف والترجمة في العصر الأموي ثم في العصر العباسي، فحملت اللغة العربية علم الإغريق وفلسفتهم، وعلوم المسلمين وأدبهم من شعر ونثر إلى أوروبا، وكان العلماء الأوربيون يستعملون العربية لغة للتعليم والتعلم، ويترجمون منها إلى اللاتينية.

وتجدر الإشارة إلى أن حال المثاقفة في الأندلس تدعونا إلى الانتباه على أن كثيراً مما أنتج في عصر النهضة في أوروبا إنما كان نتيجة للتثاقف بين العرب والأوروبيين، ومما يؤسف له في أيامنا هذه أن بضاعتنا لم ترد إلينا بنزاهة، بل رافقها مشروع سياسي يستهدف تغييب هويتنا!

لقد احترم العرب إبان ألق حضارتهم الثقافات الأخرى، فترجموا عن الفارسية والهندية واليونانية، واطلعوا على تجارب الآخرين، ثم أبدعوا وابتكروا وطبعوا ذلك كله بالطابع العربي، وقدموا خلاصة تجربتهم في ميادين العلوم والمعارف إلى أوروبا.

وإذا كان العرب قد احتفظوا بعلوم اليونان والرومان والفرس والهنود والأنباط في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات وغيرها فإنهم في الوقت نفسه حافظوا على الفنون الزراعية، وعملوا على توسيعها ونشرها فقد ذكر بعض العلماء الغربيين ومنهم النباتي السويسري المشهور De Candolle صاحب

كتاب «مهد النباتات الزراعية» أن العرب نقلوا إلى سواحل البحر المتوسط زراعة القطن وقصب السكر والمشمش والخوخ والرز والخروب والبطيخ والباذنجان وغيرها، وأن الأوروبيين اقتبسوا زراعتها منهم إما في صقلية، أو في الأندلس، أو في عودتهم إلى بلادهم زمن الحروب الصليبية.

ومن الأدلة على تأثير العرب في نشر النباتات الزراعية أن اللغة الفرنسية اقتبست من لغتنا أسماء عدد غير قليل من النباتات المذكورة مثل Artichaut: الخرشف، Aubergine الباذنجان، Azerolier: الزعرور، Caféier: القهوة، Caroubier: الخروب، Colocase: القلقاس، Cotonnier: القطن، Estragon: الطرخون، Henné: الحناء، Jasmin: الياسمين، Ketmie: الخطمي، Lablab: اللباب، Lemonier: الليمون، Nénuphar: النيلوفر، Sumac: السماق، الخ<sup>(١)</sup>.

وكان لكتب الفلاحة العربية والتجارب والأعمال الزراعية تأثير في فلاحة الإسبان والأقوام المجاورة لهم، ففي الأندلس ظهر عدد من العلماء تجنبوا ذكر الأوهام والخرافات في كتبهم، وتتبعوا الأعمال الزراعية في أراضيهم وأراضي الفلاحين، وعكفوا على التجارب الزراعية في الحدائق والحقول، وأصبحت الفلاحة في الأندلس فناً تجرّب فيه تجارب عملية مختلفة كتأثير بعض الأسمدة في غلات النباتات الزراعية، وأشكال التقليم والتطعيم، وزراعة نباتات أجنبية في مختلف الأقاليم الزراعية، ومكافحة بعض الأمراض والحشرات، وإيجاد أصناف جديدة من الغلات والأثمار وغير ذلك.

وليس بعجيب أن بلغت مدينة العرب في الأندلس المستوى الرفيع الذي يعرفه العالم أن يقتبس الفلاحون الإسبان من مجاورتهم العرب المفيد من الأعمال الزراعية، وأن يزرعوا ما نقله العرب إلى الأندلس من النباتات الزراعية المشهورة، وأن ينقل بعض الإسبان كتب الفلاحة العربية إلى اللغة الغشتالية للإفادة منها كما أشار إلى ذلك المستشرق الإسباني «خوسي ماريه

(١) الدكتور مصطفى الشهابي - تأثير العرب والعربية في الفلاحة العربية - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - مج ٣٦ - سنة ١٩٦١ - ص ١٨١.

مياس بيكروسا» في كتابه المترجم إلى العربية بعنوان «علم الفلاحة عند المؤلفين العرب»<sup>(١)</sup>.

ولقد ذكر الدكتور بو علام بن حمودة أن ثمة ١١٧٠ مفردة في اللغة الإسبانية هي عربية الأصل، وقد ورد ذلك في كتابه «الأصل العربي الصحيح لعدد من الكلمات الإسبانية»، كما ورد فيه أن هناك ١٦٨٨ من المفردات المشتقة، ورتب فروع المعرفة التي وقع عليها التأثير اللغوي العربي ترتيباً تنازلياً فكانت أربع عشرة درجة أولها قطاع الفلاحة والصيد البحري، وآخرها علم الرياضيات، وبين هذا وذاك تأتي علوم الحضارة الشائعة وألفاظها في الحياة اليومية، وهي تتمثل في الصناعات والحرف والألبسة والأثاث والإدارة والفنون والآداب والدين والحرب والحيوانات والتجارة والمعاملات والأطعمة والصحة والتجيم والأشغال العامة وغيرها<sup>(٢)</sup>.

وفي مجال النحو درس النحاة اليهود في الأندلس النحو العربي، وألفوا نحواً للعبرية على أساس معرفتهم بمنهج التحليل النحوي عند العرب، وظهر في المغرب والأندلس فوج من علماء اليهود اقتبسوا مناهج اللغويين والنحاة العرب، وطبقوها أيضاً على اللغة العبرية، وعلى رأس هؤلاء مناحم بن سروق وأبو سليمان بن إبراهيم الفاسي الذي ألف معجماً ضخماً للغة العبرية يقع في مجلدين كبيرين، وجعل شرحه للألفاظ بالعربية<sup>(٣)</sup>.

وفي جنوب شرق آسيا وخاصة ماليزيا وأندونيسيا دخلت عناصر عربية في صلب المفردات الثقافية لبعض لغات الهند الصينية، فقبل دخول الإسلام إلى هذه المناطق كان التجار العرب يجوبون سواحل المنطقة بسفنهم الشراعية، ويقيمون المراكز التجارية فيها كما فعل في وقت لاحق التجار الأوروبيون، إلا أن التأثير الثقافي واللغوي الحقيقي لم يظهر جلياً إلا مع

(١) المرجع السابق - ص ١٨٤.

(٢) الدكتور أبو القاسم سعد الله - بين العرب والإسبانية - المجلد ٧٣ - ج ٢ - ١٩٩٨ - ص ٣٥٧.

(٣) الدكتور مسعود بويو - العرب ولغات الأمم الأخرى - المرجع السابق ص ٢٧٢.

حركة انتشار تعاليم الدين الإسلامي، كما ينطبق في المقام الأول على الشعب الماليزي ولغته في جنوب البر القاري، ولغة الشعب الأندونوسي في أرخبيل الجزر الأندونيسية وحتى في لغات البر القاري التي يتحدثها أناس غير مسلمين اقتبس الكثير من العبارات والكلمات العربية الأصل نتيجة العلاقات التجارية في المقام الأول، فعلى سبيل المثال Arak بالبورمية «مشروب كحولي» هو عرق بالعربية و Kalom هو قلم بالعربية.

وبصورة عامة أثرت العربية تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام حتى أصبحت العربية في السند لغة التخاطب، وما تزال لغة السند تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية قد تجاوزها الحصر.

أما تأثير العربية غير المباشر في اللغات الهندية ف جاء بطريق الفارسية، وتراوح نسبة الكلمات العربية فيها بين ٢٠ و ٦٠%، وهذا ما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات في ذلك العهد، وما يزال في الأدب الأردني استعمال المصادر العامة مثل: «اجتتاب، اجتهاد، إجلال، احتياط» وغيرها ألوف من أمثالها، والصفات مثل: «أتم، أجل، أبله، أحمق، أعلى»، ومنها ما يدل على اللون مثل: «أبيض، أبلق، أحمر، أخضر، أدهم، أزرق»، ومنها الاصطلاحات الدينية مثل: «أوقاف، أولياء، أوصياء، إلحاد، إفتاء، إعجاز، اعتكاف، استغفار، ارتداد، إحرام»، ومنها الاصطلاحات القانونية مثل: «وكيل، معجل، مدعي، مدعى عليه، استغاثة، استرداد، استحقاق، أداء الشهادة، إبراء النمة، اتهام، محضر... الخ» ومنها الاصطلاحات العلمية في العلوم النظرية مثل: «إلهيات، طبيعيات، اقتصاديات، رياضيات، اجتماعيات، أخلاقيات، نظريات، وغيرها»، وهذه كلها تستعمل بمعانيها العربية بلا تغيير، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية، حتى يخيل لمن يدرس هذه العلوم أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية<sup>(١)</sup>.

(١) مبارك الباكستاني - الكلمات العربية في اللغة الأردية - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - ص ٢٥٨.

إن لغتنا العربية تفاعلت مع اللغات قبل الإسلام وبعده، فقد احتكت بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها، ومن بين هذه اللغات الفارسية واليونانية والنبطية والآرامية والعبرية والحبشية والهندية. وفي اللغة العربية كلمات وأصول لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات، حتى لقد قيل إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية، وأن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية، وأن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشؤون الزراعة منقولة عن النبطية، وأن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية، وإن ما يدل على التوابل والعقاقير، والأطياب والأحجار الكريمة فأصله في الغالب من السنسكريتية أو الهندية.

ومن الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل القسطاس والدرهم والقنطار والقبان والاصطرلاب والترياق والبطريق والقنطرة، ومن الألفاظ العبرية الأصل: الملكوت، الجبروت، كاهن، حَبْر، ومعظم أسماء الأنبياء، ومن الألفاظ الحبشية الأصل: مشكاة، ونفاق وحواري وبرهان ومصحف، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل: صبح وبهاء وضياء ومسك. ومن الألفاظ الهندية الأصل: كافور وزنجبيل وقلقل<sup>(١)</sup>.

وقد دخل العربية في العصر الجاهلي كثير من الألفاظ الفارسية، وجاء الإسلام، ونزل القرآن الكريم فاستعمل بعضها مثل سندس واستبرق وإبريق... الخ، وكثيراً ما كان العرب يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالاً فاشتقوا زركش أي نقش أو رسم بالذهب من زركش أي الراسم بالذهب، ومن كهرباء كهرب، ومن مغناطيس مغطس، ومن قسطاط قسط بمعنى ظلم، وأقسط بمعنى عدل، ومن مهر (خاتم) مَهَر الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه، ومن ديوان دُونَ... الخ.

وعلى الرغم من قوة النفوذ الفارسي في العصر العباسي بقيت اللغة العربية لغة الدين والسياسة والعلم، واتخذها علماء الفرس وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم وتسجيل آرائهم وتصوير أخيلتهم وعواطفهم.

(١) حامد عبد القادر - بين العربية والفارسية - مرجع سابق - ص ٣٦٢.

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى شعراً أو نثراً، فقد ترجم الطبري إلى الفارسية، وتفسير الطبري للقرآن الكريم من العربية إلى الفارسية. ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى استعمال العرب لكثير من الكلمات الفارسية بعد تعريبها، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات العربية في لغة التخاطب ولغة الأدب في كلتا الحاليتين<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغات الأوروبية أخذت عن العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل الجبر والصفير واللوغاريتمات، وبعض المصطلحات الكيميائية كالكحل والقلويات... الخ.

ونخلص من ذلك كله إلى أن التفاعل بين العربية وغيرها من اللغات إنما كان تفاعلاً فعالاً حيث دخل إلى اللغة العربية أجل ما في تراث الأوائل من أمهات المؤلفات في مختلف فروع العلم، كل ذلك بلغة عربية فصيحة حتى إن كل مادة الأوائل العلمية والفكرية أصبحت في القرن الرابع بيد العرب، وتأثرت الحضارة العقلية بمختلف الثقافات، وتطورت العقلية فاكتملت ميزات طريقة من عمق في التفكير، وبراعة في التحليل، واستيعاب للمعاني، وترتيب للأفكار. وظهر أثر اللقاح جلياً واضحاً من حيث الدقة والتحليل والتفصيل والابتكار والتجديد والترتيب والتنسيق والتأثر بالمنطق وأقيسته، واصطبغت الحضارة بأصباغ جديدة مزجتها حكمة الهند وأدب الفرس وتأمل اليونان، وصار المولودون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ كما يقول أبو الفتح عثمان بن جني<sup>(٢)</sup>.

ووصل العلماء باللغة العربية إلى الوفاء في مستوى التعبير العلمي بمحتوى العلوم واستيعاب العمليات الفكرية والتفاعل معها وتجاوزها، وهم

(١) المرجع السابق.

(٢) الدكتور محمد سويسي - العربية ولغة العلم - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٦١ - عام ١٩٨٦ - ص ٦٧١.

طوروا صيغ العربية وطوعوها وأغنوها بالمصطلحات وغيروا طابعها ذاته فأصبحت لغة حضارة شاملة.

ومن أهم الأبواب التي تفتحت عليها اللغة مصطلحات العلوم في الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء والنبات والكواكب السيارة وأسماء النجوم وأسماء النباتات والمصطلحات الطبية ومصطلحات الفلسفة، وإدخال تراكيب أعجمية على العربية مست أحياناً من روحها، وزاغت بها عن أسلوبها وعن جادتها كاستخدام الفعل المبني للمجهول والكثير من الجمل الاعترافية واستعمال فعل الكون ومشتقاته وضمير الغائب، ونحت الكلمات بإدخال لا النافية عليها كاللانهاية، واللاكون واللاأدرية.. الخ<sup>(١)</sup>.

ويشير «برنارد لويس» في كتابه «الإسلام والغرب»<sup>(٢)</sup> إلى أن اللغة العربية كانت اللغة الأكثر ترجمة في العالم حتى عصر النهضة والإصلاح، أي حتى الفترة التي بدأت فيها الموجة الكبيرة من ترجمات الكتب المقدسة والأعمال الكلاسيكية في الغرب، إن من حيث عدد الكتب المترجمة عن العربية أو في عدد اللغات التي درست فيها هذه اللغة.

لقد غدت اللغة العربية منذ القرن السابع لغة مقدسة - لغة القرآن الكريم الكتاب المقدس عند المسلمين - ولغة المؤلفات الأساسية في علم الدين والقانون الإسلامي، وكانت الوسيط بين كم من الكتابات العلمية والأدبية والفلسفية، وتعد نموذجية وجديرة بالاعتماد ليس من العرب أنفسهم فقط، ولكن من الشعوب المسلمة الأخرى، لغة عملية تستخدم على نطاق واسع في الحكومة والمجتمع والتجارة، وكانت في العصور الوسطى الإسلامية المعادل للغة اللاتينية واليونانية في الغرب إضافة إلى اللغات العامية الأدبية حتى بدايات الفترة المعاصرة.

(١) المرجع السابق.

(٢) برنارد لويس - الإسلام والغرب - ترجمة الدكتور فؤاد عبد المطلب - اتحاد الكتاب العرب - ٢٠٠٧ - ص ٩٧.

### ثالثاً- لغة الغالب تغيب: الإنجليزية أمودجاً

إذا كانت لغتنا العربية مثلاً حياً للتفاعل الخلاق إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية وتفوقها على الرغم من قوة أصحابها آنذاك وهيمنتهم على شؤون الحياة كافة، فإننا نلاحظ في حياتنا المعاصرة التي تسود فيها العولمة، ولغتها المعتمدة الإنجليزية، أن ثمة هيمنة للغة الأقوياء على الضعفاء، ومخططاً لاستبعاد اللغات الأم للمجتمعات، وقصداً لتغيب هويتها وذاتيتها الثقافية.

وغني عن البيان أن البشرية شهدت منذ عصر الاكتشافات الجغرافية والعلمية في القرن الخامس عشر، ومنذ بداية عصر الاستعمار في القرن الثامن عشر على أبعد تقدير، عملية عولمة مبكرة أدت إلى تزايد المعارف عن العالم باستمرار. أما الذي يميز مرحلة التطور الحديثة للعولمة عن المراحل السابقة لهذه العملية الفعالة منذ مئات السنين فهو سرعة انتقال المعلومات والبيانات، وكثافة شبكة الاتصالات، وتزايد أعداد الناس الذين يستطيعون الاطلاع على المعارف المتوفرة عن العالم.

وفي عالمنا المعاصر ثمة لغات عالمية تتبوأ مكانة على الصعيد العالمي، ومن سمات اللغات العالمية أنها تؤدي وظائف رسمية في العديد من الدول ما عدا اليابانية التي لا تؤدي وظيفتها إلا داخل الوطن الأم اليابان. ومما يميز مكانة اللغة العالمية هو انتشارها على مستوى جميع قارات العالم، كما تتميز اللغة العالمية أيضاً بأنها لغة رسمية في دول ومناطق مختلفة من العالم ما عدا اللغتين الصينية والألمانية، إذ على الرغم من أن اللغتين تؤديان في عدد من البلدان وظائف اللغة الرسمية إلا أن ذلك ينحصر في قارة واحدة، الألمانية في أوروبا، والصينية في آسيا.

وفي هذا المجال تحتل الإنجليزية المرتبة الأولى، فهي اللغة الوحيدة بين جميع اللغات العالمية التي تستخدم لغة رسمية في قارات العالم كافة، حيث يبلغ عدد الدول التي تستخدم اللغة الإنجليزية لغة رسمية 59/ تسعاً



وخمسين دولة، وهو أكثر من ضعف عدد الدول التي تستخدم اللغة العالمية الثانية وهي الفرنسية، إذ يبلغ عددها ٢٨/ثمانياً وعشرين دولة<sup>(١)</sup>.

وتسود الإنجليزية لغة اتصالات دولية في مجال الالكترونيات ونقل المعلومات، إذ إن ٨٠% من صفحات الموقع المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة بالإنجليزية، وهذا ما يعيق نفاذ غير الناطقين بالإنجليزية إليها.

وتسود الإنجليزية أيضاً في مجالات الإدارة والتسويق، في حين تحل اللغات العالمية الأخرى مراتب تالية للغة الإنجليزية وبفارق كبير. كما أنها تسود في لغة الدبلوماسية الحديثة وفي داخل المنظمات الدولية. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تقدمت الإنجليزية الصفوف لتغدو لغة العلوم القيادية على الصعيد العالمي.

ومن الملاحظ أن اللغة الإنجليزية تهيمن على مفردات اللغات الأصغر والأكبر في الوقت نفسه، وها هي ذي الأمركة تؤثر في أسلوب الحياة وذلك في أي محيط ثقافي، إذ إن نقل المصطلحات الإنجليزية لا يعرف في الواقع أي حدود، وها هي ذي لغات عالمية من مثل الفرنسية والإسبانية والروسية والألمانية تقبس الكلمات الإنجليزية، كما تقبسها لغات أصغر تتحدث بها الملايين مثل الدانماركية والفنلندية والتشيكية.

بيد أن بعض الدول الكبرى أحست بخطر هيمنة اللغة الإنجليزية وتأثير تلك الهيمنة في لغتها الأم، وكان ممن تنبهوا إلى ذلك في وقت مبكر "بسمارك" فهو عندما سئل عن أفضع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر أجاب: إن الجاليات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه الجاليات اللغة الألمانية لغة لها كي يضمن ولاءها لألمانيا، وقد أثبتت الأحداث صدق رؤيته، فقد وقعت أمريكا إلى جانب إنجلترا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وللغة دور كبير في تقارب الفكر وتوحيد الرؤى.

(١) هارالد هارمان - تاريخ اللغات ومستقبلها «عالم بابلي» - ترجمة سامي شمعون -

مراجعة محمد حرب فرزات - المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث - الدوحة -

٢٠٠٦ - ص ١٦٨.

كما أن فرنسا تحاول بمختلف الوسائل تثبيت مكانة لغتها الفرنسية على الصعيد العالمي، وتحمل لواء الدعوة إلى التعدد الثقافي والتنوع اللغوي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو»، محاولة بذلك الوقوف أمام هيمنة اللغة الإنجليزية على الصعيد العالمي والدفاع عن لغتها.

ويذكر «لويس جان كالفي» في كتابه «السياسات اللغوية» أنه: «في سنة ١٩١٩ صدرت لأول مرة في تاريخ العلاقات الدولية معاهدة بلغتين الفرنسية والإنجليزية، ذلك أن الرئيس الأمريكي «ولسن» كان قد طالب بالألا تحرر معاهدة فرساي باللغة الفرنسية وحدها، كما جرت العادة إلى غاية هذا التاريخ، فهذا التاريخ نو رمز، ذلك لأن فرنسا منذ هذا التاريخ، كانت تتاضل من أجل الحفاظ على المنزلة العالمية للغتها دون نجاح، ففي اليونسكو كما في هيئة الأمم المتحدة تستعمل الفرنسية إحدى لغات العمل، كما أن عدداً من المندوبيات تستعملها في مداخلتها، بالإضافة إلى أن عدد الناطقين بالفرنسية في العالم يزداد باستمرار، ولم يعد الفرنسيون يشكلون الأغلبية في مجموع الفرانكفونيين، ولم تعد اللغة الفرنسية لغة فرنسا وحدها، وعلى الرغم من ذلك كله ثمة وضع جديد، إذ لم تعد الفرنسية اللغة العالمية الأولى، فقد تجاوزتها الإنجليزية أيما تجاوز»<sup>(١)</sup>.

وورد في وثائق وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية أن «علينا - أي الفرنسيين - ألا نخطئ الغاية، إن الأمر لا يتعلق بإعلان الحرب على الإنجليزية، بل بالنضال من أجل المحافظة على التعددية اللغوية الثقافية التي تبدو لنا ضرورية لا بالنسبة لنا فحسب، بل بالنسبة للعديد من شركائنا»<sup>(٢)</sup>.

ويعقب «لويس جان كالفي» على هذا الكلام قائلاً: «إلا أن السياسة اللغوية للفرانكفونية يبدو أنها تتجاهل اللغات الموسومة بـ «لغات الشركاء»،

(١) لويس جان كالفي - السياسات اللغوية - ترجمة محمد يحياتن - الدار العربية للعلوم - ناشرون - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩ - ص ١١٨.

(٢) Ministre des Affaires Etrangères, Histoires de diplomatie Culturelle des Origines (٢) 1995. La Documentation française 1995, P179.

وتضرب بمبدأ التعددية اللغوية المصرح به في أماكن أخرى عرض الحائط، وعدم الاحتفال بمنزلة اللغات في التنمية عندما يتعلق الأمر بالفرنسية في أفريقيا، وأن المبادئ المصرح بها في السياسة الفرنسية «التعددية اللغوية بأوروبا والحوار بين الفرنسية ولغات الشركاء في الفضاء الفرانكفوني» وفي دفاعها عن التعددية اللغوية في اليونسكو، ليست كذلك في أغلب الأحيان، لأن استراتيجيتها تقوم على الدفاع عن الفرنسية، وإن كانت لا تجهر بذلك»<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد وجهة نظر «لويس جان كالفي» صاحب كتاب السياسات اللغوية أن الجمعية الوطنية الفرنسية أصدرت قراراً عام ١٩٩٤ ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنجليزية على الأرض الفرنسية، ووضع البرلمان الفرنسي قائمة بالكلمات السود التي يحظر استعمالها في لغة الإعلام والإعلان.

وتشير الوقائع إلى أن اللغة المهيمنة لا تؤثر في اللغة غير المهيمنة فحسب، بل إنها تولد عوامل تجذب الأخيرة إلى الانصهار في الأولى. ويعني هذا أن المتحدثين باللغة غير المهيمنة يتخلون أجلاً أو عاجلاً عن لغتهم الأم، ويعتمدون اللغة المهيمنة.

ففي أستراليا لا تسمح اللغة الإنجليزية المهيمنة لأي من اللغات الأخرى الصغيرة بأي حرية من التصرف مهما تكن الأسباب.

وفي روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي بقيت للغة الروسية مهيمنة، فقد أجري استطلاع للرأي في بيلاروسيا عام ١٩٩٥ حول اللغة الروسية، إذ قرّر ٨٣% من المستفتين من الروس البيض الاعتراف بمساواة اللغة الروسية مع لغة روسيا البيضاء لغة رسمية في البلاد، وبهذا استعادت اللغة الروسية مكانتها السابقة المهيمنة كما كان عليه الحال في عهد الدولة السوفييتية، وعادت اللغة الروسية البيضاء من جديد للوقوع مباشرة تحت نفوذ اللغة الروسية.

(١) لويس جان كالفي - السياسات اللغوية - مرجع سابق - ص ١٢١ - ١٢٢.

وفي الجمهوريات السوفييتية السابقة ذات الأغلبية السكانية غير الروسية، والتي أصبحت اليوم دولاً مستقلة، ما يزال ضغط اللغة الروسية داخل البلد الأم لهذه اللغة مستمر<sup>(١)</sup>.

وهكذا نلاحظ الفرق بين لغة الغالب عندما تكون طبيعة الغالب حضارية إنسانية كما تمثل ذلك في لغتنا العربية ورسالتها الحضارية الإنسانية وبين لغة الغالب عندما تكون طبيعته متعالية على الآخرين، مستهينة بثقافات الشعوب ولغاتها الوطنية، وعاملة على سيرورة لغتها وانتشارها على جميع الصعد، كما هي عليه الحال في العولمة الثقافية المعاصرة ذات القطبية الأحادية ولغتها الإنجليزية.

والسؤال الذي لا بد من الإجابة عنه هو ما الموقف الذي ننشده في وطننا العربي تجاه لغتنا العربية وما تواجهه من تحديات خارجية تتمثل في تهيمتها واستبعادها ووصمها بالتخلف على أيدي أعداء الأمة ومن تحديات داخلية تعمل على استبعادها أيضاً، ولكن ليس على أيدي أعدائها وإنما على يد نفر من أبنائها؟ هذا ما سنحاول تعرفه في الفقرات التالية.

#### رابعاً- الموقف المنشود

تحافظ اللغة على الهوية من الضياع، وعلى الشخصية من الذوبان والاستلاب، وثمة ارتباط بين اللغة والهوية، والمحافظة على إحداها محافظة على الأخرى، وإن في إنقاذ إحداها إنقاذاً للأخرى، «وتسهّم اللغة في عملية تهيئة الأفراد للانخراط في المجتمع والبحث عن هويتهم، ذلك لأن عملية تشكيل الهوية لدى الفرد هي المحرك لسلوكه الاجتماعي، وتعد الهوية الفردية من جانبها شرطاً مسبقاً لبناء هويات جماعية أي للتراص الداخلي للمجموعات، ولا يستطيع الناس النجاة إلا عند العيش في مجموعات، وتتطلب المجموعات من جانبها ومن أجل أن تكون قادرة على أداء وظائفها بصورة

(١) هارالد هارامان - تاريخ اللغات ومستقبلها «عالم بابلي» - مرجع سابق - ص ٣٥٦.

كاملة هوية سليمة ومستقرة قدر الإمكان تستطيع أن تعبر عن نفسها بمختلف أشكال التعبير»<sup>(١)</sup>.

وتؤدي اللغة في تشكيل الهوية دوراً أساسياً، فلقد تبين في تاريخ الثقافة أن اللغة هي أكثر أنظمة الإشارات فعالية، وأكثرها قدرة على التأقلم، وأكثرها وجهاً من حيث وظائفها التواصلية لخدمة تشكيل الهوية، وهي في ضوء تعقد أشكالها التعبيرية مؤهلة على أحسن وجه لمواجهة المتطلبات الموجهة للناس في تفاعلهم مع محيطهم الثقافي، والتأقلم بمرونة مع الشروط الموجودة في مجتمع متغير.

ومن هنا كان تعدد اللغات في العالم أداة للهوية الإنسانية لا يمكن الاستغناء عنها من أجل مواجهة متطلبات الثقافة المحلية والمحافظة على السلوك الاجتماعي وجعله يؤدي وظائفه تحت مختلف الظروف الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

إلا أنه في ظل العولمة تحول الصراع على اللغة إلى صراع على الهوية وإثبات الذات والمحافظة على الكيان والطابع القومي، وإذا كانت لغتنا العربية تتعرض لحركة تهميش نشطة بفعل الضغوط الهائلة الناجمة عن طغيان اللغة الإنجليزية على الصعيد السياسي والتقني «التكنولوجي» والمعلوماتي، وتشارك اللغة العربية في ذلك معظم لغات العالم، فإن العربية تواجه تحديات إضافية نتيجة للحملة الضارية التي تشنها العولمة ضد الإسلام ولغة قرآنه العربية نظراً إلى شدة الارتباط بينهما<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر محاربة اللغة العربية وتغييبها من على نطاق الساحة العالمية التوجه إلى إلغائها من بين اللغات العالمية الرسمية في منظمة الأمم المتحدة، واللغات العالمية الرسمية في المنظمة هي: «الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الروسية، الصينية، العربية»، وذلك للأسباب الثلاثة الآتية:

(١) المرجع السابق - ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق - ص ٤٦.

(٣) لجنة تمكين اللغة العربية برئاسة الدكتور محمود السيد - دار هارون الرشيد لنشر العلم والمعرفة - دمشق - ٢٠٠٨ - ص ٦.

١- عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة.

٢- عدم استعمال ممثلي الدول العربية للغة العربية في الأمم المتحدة فهم يستعملون الإنجليزية أو الفرنسية في مداخلاتهم وكلماتهم.

٣- عدم وجود مترجمين عرب أكفيا يجيدون اللغة العربية.

وقامت بعض الجامعات الأمريكية بإلغاء تدريس اللغة العربية والاستعاضة عنها باللغات العربية مثل الشامية والمصرية والمغربية والعراقية، كما أن فرنسا عملت على استبعاد العربية من امتحانات الشهادة الثانوية، حيث كان يسمح للطالب باختيار لغة ثانية كالإنجليزية والألمانية والإسبانية والعربية. وابتداءً من عام ١٩٩٥ لم تعد العربية من بين هذه اللغات، واستعيض عنها بعدد من اللغات العربية والكتابة بها<sup>(١)</sup>.

ومن الأساليب التي تحارب بها العربية إحياء الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية، وتشجيع البحوث التي تخدم العاميات وتقديم الدعم المادي لها، واتخذت محاربة اللغة العربية الفصيحة أشكالاً متعددة منها وصم لغتنا بالتخلف وعدم مواكبة العصر والتفجر المعرفي، وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم، ووصمها بالصعوبة والتعقيد بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تفهم لتقرأ خلافاً لبقية اللغات<sup>(٢)</sup>.

ومن الأساليب أيضاً إحياء لغات الأقليات وتقديم الدعم للقائمين بها تحت شعار حقوق الإنسان، إذ إن ثمة دعوة لتشجيع الأمازيغية والكردية واعتمادهما لغتين رسميتين في الوطن العربي.

---

(١) الدكتور عبد السلام المسدي - مكانة اللغة العربية في مواجهة انتشار اللهجات العامية عبر وسائل الإعلام - مجلة العربي نصف قرن من المعرفة والاستارة - ج ١ - وزارة الإعلام - الكويت - ٢٠٠٨ - ص ٦٣.

(٢) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٨ - ص ١٧٨.

ومن الملاحظ أن ثمة تغييباً للغة العربية لمصلحة الإنجليزية في الوطن العربي، على أن الإنجليزية هي لغة عمل وتواصل على الصعيد كافة، بدءاً من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقنية «التكنولوجية» ومروراً بالتعليم العالي والتجارة والصناعة والإعلام والإعلان وغيرها، وصولاً إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال. وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستعمالها في مجالات تقليدية محددة.

وإذا كان المستبدون الأتراك في عهد جماعة الاتحاد والترقي قد عملوا على تغييب اللغة العربية وتدریس التركية مكانها، كما عمل الفرنسيون في سورية والجزائر على فرض لغتهم مكان العربية، وعمل الاستعمار الإنجليزي أيضاً على فرض لغته في مصر وتدریسها بدلاً من العربية التي اعتمدها محمد علي في نهضته، فإن ثمة نفرأ من المفكرين العرب في عصر النهضة وفي ضوء تقليد المغلوب للغالب والنظر إلى لغته على أنها الأكمل، راحوا يدعون إلى استبدال الحروف اللاتينية بالعربية، فظهرت الدعوات إلى أن على العرب كي يلتحقوا بركب العصر أن يهجروا العربية الفصيحة، وأن يستبدلوا بحروفها الحروف اللاتينية وأن يكتبوا بالعامية، وقد حمل لواء هذه الدعوة بعد عدد من المستشرقين كل من سلامة موسى وعبد العزيز فهمي في مصر، وسعيد عقل في لبنان حيث طبع الأخير ديوانه «يارا» بحروف لاتينية<sup>(١)</sup>.

ويقوم بعض الشبان حالياً بكتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية في تواصلهم عبر الشابكة «الإنترنت» بعد أن طوروا حروفاً وأرقاماً لاتينية تقابل حروف العربية من غير حاجة إلى استخدام الحركات، وما ذلك إلا مظهر من مظاهر الشعور لديهم بأن الحروف اللاتينية أرفع من حروف لغتهم الأم، وما علموا أن هذا السلوك يؤدي إلى غياب لغتهم، وفقدان هويتهم.

(١) الدكتور أحمد اضبيب المؤتمر السنوي السابع لمجمع اللغة العربية بدمشق - التجديد اللغوي بين الواقع والمأمول - دمشق ٢٠٠٨ - ص ٨.

ومن مظاهر التغييب الجزئي لبعض قواعد اللغة ونظامها وتمشياً مع دعوة اليونسكو إلى إزالة الجنسية «الأثار النمطية والسلبية لدور الرجل والمرأة» من للكتب المدرسية وأدب الأطفال، إلغاء التمييز بين المذكر والمؤنث لصالح الذكورة عندما يكون الحديث عن البنين والبنات، والدعوة إلى تأنيث أسماء المناصب مثل: رئيس، عميد، عضو، مدير، أستاذ... الخ<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت دساتير الدول لعربية تنص على أن اللغة الرسمية للدولة هي العربية فإننا نلاحظ أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع، وإذا كنا نحمل أعداء أمتنا مسؤولية تغييب لغتنا فإن المسؤولين في أمتنا مسؤولون أضعاف ما يتحمله الأعداء من مسؤولية، إذ إنهم لم يعملوا على وضع حد لهذا التسبب اللغوي على نطاق الساحة القومية، ففردى نفرأ من أبناء الأمة يعتقد أن في استخدام اللغة لأجنبية أمانة على التقدم والعلم والأناقة في الوقت الذي يرى فيه أن في استخدام اللسان العربي دلالة على التخلف، وها هي ذي الأم في الطبقات الحريية تخاطب أبناءها باللسان الأجنبي، وها هو ذا التاجر يخاطب زبونه باللسان الأجنبي، وها هو ذا المثقف يطعم كلامه بالكلمات الأجنبية دلالة على ثقافته العصرية، وها هي ذي الشركات على الأرض العربية تعلن عن حاجتها إلى موظفين يتقنون اللغة الأجنبية، وها هي ذي المراسلات بين المصارف تستخدم الأجنبية، وها هي ذي الإعلانات في الطرقات وفي الساحات العامة وعلى واجهات المحال التجارية تستعمل الكلمات الأجنبية<sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن العاملين والعاملات في دول الخليج العربي ومن جنسيات مختلفة ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا العربية لأنهم يقضون حاجاتهم وينفذون متطلباتهم باستعمال الأجنبية مع أبناء العربية الذين تنازلوا عن لغتهم القومية ليتحدثوا مع هؤلاء بلسانهم أو بلسان أجنبي

(١) المرجع السابق - ص ١٠.

(٢) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - مرجع سابق - ص ١٠٥.



آخر، كما نلاحظ أن المؤتمرات العلمية التي تعقد في منطقتنا العربية تستخدم اللغة الأجنبية في بعضها على الرغم من أنها تعالج موضوعات عربية، كما أن ممثلينا في المحافل الدولية يستخدمون الأجنبية في مداخلاتهم ومناقشاتهم وإلقاء كلماتهم على الرغم من أن لغتهم العربية معتمدة بين اللغات العالمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ونسأل أنفسنا: كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا، ونحن لم نحترم أنفسنا وهويتنا ولغتنا المعبرة عن ذاتيتنا الثقافية وأصالة أمتنا؟<sup>(١)</sup>.

قد يقول قائل: إن طبيعة العصر تفرض ذلك في ظل هذه العولمة الثقافية ولا يمكننا إلا التعامل مع هذه العولمة بإيجابية، بيد أن الموقف المنشود يرمي إلى أن للعولمة جانباً مضيئاً يتمثل في انفتاح الشعوب على بعضها، والإفادة من معطيات عصر العلم والتقانة والتفجر المعرفي والانتشار الثقافي والاتصالات السريعة، ولكن للعولمة جانباً مظلماً يتمثل في استخدام منطوق القوة والغلبة لا قوة الحق، وفي الهيمنة والتهميش والإقصاء من خلال محاربة التنوع الثقافي واستبعاد اللغات الوطنية من أن تتبوأ مكانتها لصالح لغة الغالب والمهيمن. وهذا ما نجده على نطاق الساحة العربية ولكننا لا نجده لدى الشعوب الأخرى التي تتعامل مع العولمة العلمية والتقانية والاقتصادية وتتفاعل معها وتتطور وتفعل ذلك كله بلغتها كما نجد ذلك لدى اليابانيين والكوريين والألمان والفرنسيين والإيطاليين وحتى إسرائيل العنصرية أحييت لغتها العبرية الميته منذ ألفي سنة لتستعملها في مجالات الحياة كافة، إذ إنها أعادتها إلى الحياة في تعليمها الرسمي والخاص وفي جميع شؤون حياتها، وها هي ذي جامعاتها تدرس باللغة العبرية، وسمت الجامعة الأولى لديها الجامعة العبرية وليس اليهودية أو الإسرائيلية نسبة إلى اللغة والثقافة التي تريد إحياءها وتطويرها من خلال التدريس بها والبحث العلمي بوساطتها، ولا توجد في إسرائيل مدرسة واحد تدرس بغير

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - مرجع سابق - ص ١٠٦.

العبرية كما يقول الدكتور عزمي بشارة، ويشير إلى أن خبراء التخطيط الأمريكي أنفسهم يمتدحون التجربة الإسرائيلية في التعليم أمام مستمعهم العرب في الوقت الذي يشجعون فيه العرب على الانتقال إلى التدريس بالإنجليزية<sup>(١)</sup>.

ويتساءل أحدنا: لم يصغي بعض أبناء أمتنا من الموسرين في الطبقات الحريرية إلى دعوات يروج لها أجنب في أن لغة العلم حالياً هي اللغة الإنجليزية، وأن التعليم بها في المدارس والجامعات الرسمية والخاصة هو الحل لمجاعة عصر العولمة والالتحاق بركب التقدم والارتقاء، متناسين أن التعليم باللغة الأم إنما هو الأساس للتقدم على مختلف الصعد تربوياً وثقافياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً، و«أن المجتمع الذي لا ينجز نهضته في بلده بلغته الأم لا يتفاعل مع العولمة ولا يجاري التطور في الاقتصاد والعلم والفنون يبقى على هامش الحضارة الإنسانية ولا يسهم فيها، بل أكثر من ذلك يحجب التطور عن لغته ذاتها ما دامت بعيدة عن الاستخدام في المجالات الدينامية المتطورة والمتغيرة باستمرار مثل العلوم والفنون والاقتصاد»<sup>(٢)</sup>.

وثمة مقترحات في نهاية هذا البحث أوجزها فيما يأتي:

١- جميل جداً أن يكون المرء ثنائي اللغة، يحسن لغتين في آن واحد، إحداهما لغته الأم، والأخرى لغة أجنبية عالمية كالإنجليزية، وجميل جداً أن يكون متمكناً من اللغتين معاً، لا أن يكون تمكنه من الأجنبية على حساب لغته الأم واستبعادها من التعامل والتفاهم، والأجمل من ذلك كله أن يكون في تمكنه من اللغة الأجنبية أو اللغات الأجنبية إغناء للغته وتجديد لها مصطلحات ومفاهيم وأساليب... الخ ألم يقل شاعرنا العربي:

(١) الدكتور عزمي بشارة - تحويل الصراع على اللغة إلى صراع على الهوية - جريدة

الحياة - العدد ١٦١٦٢ - تاريخ ٥ تموز ٢٠٠٧.

(٢) المرجع السابق.

بقدر لغات المرء يكثر نفعه      وتلك له عند الشدائد أعوان  
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً      فكل لسان بالحقيقة إنسان

٢- تطبيق ما تنص عليه دساتير الدول العربية من حيث إن اللغة الرسمية في الدولة إنما هي العربية الفصيحة، على أن يكون التطبيق جاداً وبكل شعور بالمسؤولية تجاه اللغة العربية من حيث أبعادها كافة دينياً وتربوياً واجتماعياً وقومياً ووطنياً... الخ.

٣- وضع خطة عمل إقليمية لدول الخليج العربي ووطنياً ترمي إلى التمكين للغة العربية في جميع المجالات التربوية والثقافية والإعلامية والاقتصادية والدينية... الخ. ويمكن الاستئناس في هذا المضمار بخطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، والتي تم وضعها بتوجيه من رئيس الجمهورية السيد الرئيس بشار الأسد.

٤- حسم موضوع التعريب، وها هي ذي الحجج والأدلة تشير إلى أن من يتعلم بلغته الأم هو الأجدى تربوياً وقومياً واجتماعياً واقتصادياً وإبداعاً وابتكاراً، وليس ثمة ما يحول دون تدريس مقرر أو مقررين باللغة الأجنبية، أما أن يتخلى العرب عن لغتهم الأم في العملية التعليمية في المدارس والجامعات الخاصة فهذا أمر استغربه ممثل منظمة الصحة العالمية، ويصعب على مواطن ياباني أو فرنسي أو ألماني أو حتى إسرائيلي أن يفهم كيف يمكن أن يولد أطفال لوالدين فرنسيين أو يابانيين أو ألمانيين أو إسرائيليين ينمون وينشأون، ولكنهم لا يتحدثون لغتهم الأم لا في البيت ولا في المدرسة، ولا يدرسون العلوم في بلدهم بلغتهم، فهذا أمر طبيعي وبدهي بنظر مواطن تلك البلاد، ومطلوب حتى من المهاجر من بلده، فكيف بالحري ممن ولد فيها؟

ولكننا نلاحظ أنه في بعض أوساط الطبقة الوسطى والعليا في بعض الدول العربية من فاق اليابانيين والفرنسيين والكوريين والألمان تطوراً! حتى بات استخدام الإنجليزية في البيت والمدرسة وبين أهل عرب وأبنائهم في بلد عربي حالة منتشرة، وهذه حال تؤسس لتحول الخلاف الطبقي والاجتماعي إلى خلاف حضاري يحولنا إلى أكثر من شعب في البلد نفسه. كما أن مدارس النخبة عندما تدرس بمنهج آخر ولغة أخرى غير العربية، فهذا يقلل الاهتمام بالتعليم العام ويفقر اللغة، ويحول الفئات الاجتماعية المتفاوتة طبقياً إلى ثقافات تكاد تكون شعبياً تتكلم لغة مختلفة، وتتباين في الفضاء الثقافي والذوق والعاطفة<sup>(١)</sup>...

لقد غلبت اليابان واستسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، ففرض الأمريكيون الغالبون شروطهم المجحفة على اليابان المستسلمة مثل تغيير الدستور، وحل الجيش، ونزع السلاح... الخ، وقد قبلت اليابان جميع تلك الشروط ما عدا شرطاً واحداً لم تقبل له، وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فظلت مصرّة على استعمال لغتها الأم، اللغة اليابانية، وكانت لغتها الأم منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة.

ومن يلقى نظرة على واقع التعريب في أمتنا العربية يجد أنه موضوع قديم جديد، طرح في أمتنا خلال قرن كامل، وما يزال مطروحاً حتى هذه الساعة، في الوقت الذي حسمته أمم أخرى عندما اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها، ولم تكن للغاتها عراقية لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية، فما هي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلندا واليونان... الخ تدرس بلغتها الوطنية، في الوقت الذي نجد فيه على نطاق الساحة القومية أنه لا يوجد قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، وهذا الإهمال يعني في الحقيقة

(١) الدكتور عزمي بشارة - المرجع السابق.

استمرار التخلف والتبعية والامية، ذلك لأن كل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد يتمثل في سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي، ولن يتم إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على الصعيد القومي «ولن تجرؤ السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية على تبني الإصلاح لأنها تعتمد الازدواجية السياسية، فهي تحافظ في دساتيرها، على اعتماد العربية الفصيحة لتكسب قدرأ من الشرعية أمام جماهيرها، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث أمام الآخرين، وتترك الحرية للهجات العامية لتضمن قدرأ من الاستقلال الداخلي على حد تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتبدى لنا موضوع التعريب متمثلاً في «عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في العملية التعليمية التعلمية في الجامعات، وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية والامية، وعدم استتبات العلم عربياً، وتسيب لغوي قومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري»<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن التلكؤ في تطبيق التعريب من جهة، والتسويق في هذا الإنفاذ من جهة ثانية أمر يحتاج إلى حسم وإصدار القرار السياسي اللازم، ولا مسوغ إطلاقاً لهذا التريث وذلك التسويق، وها هي ذي سورية العربية قد اتخذت القرار منذ عشرينيات القرن الماضي، واعتمدت اللغة العربية الفصيحة لغة التعليم ولغة الحياة حتى إن السيد «بونور» مدير المعارف العام من المفوضية العليا في العشرينيات من

---

(١) عبد الله العروي - ثقافتنا في ضوء التاريخ - المركز الثقافي العربي - بيروت الطبعة الثانية - ١٩٨٨ - ص ٢٨.

(٢) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا التعريب - دمشق - ٢٠٠٢ - ص ٢٢.

القرن الماضي إبان الانتداب الفرنسي على سورية يخاطب أساتذة الجامعة السورية آنذاك قائلاً: «لقد أردتم أن تكون أداة هذا التجدد وهذه الثقافة للغة العربية، ولستم مخطئين في اختياركم لها، كونوا واثقين أنكم أحسنتم صنعاً بانثقائها، فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم على خطأ مبين، فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنية باشتقاقاتها، وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، فإن فلاسفة العرب حينما نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطو طاليس تمكنوا من نقل العلوم كما في عهد ابن سينا والغزالي وابن رشد، فما من ينكر والحال هذه أن اللغة العربية صالحة لمماشاة اللغات الأخرى وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة».

ويتابع قائلاً: «واعلموا أن اندفاعكم إلى إيجاد مؤسسة علمية كبيرة عربية اللسان هو على ما أرى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلوا أبداً محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة، وبعده من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري».

وما أجمل ما انتهى إليه عندما يقول: «إنني أهنيء العرب، وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدس للغتهم، لأن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه المقبل، وعن كيانه، وعن لحمه ودمه، وإنكم تفهمتم هذا الأمر جيداً»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان أساتذة الجامعة السورية منذ ما يقرب من قرن قد تفهموا هذا الأمر جيداً على حد تعبير السيد «بونور» وها هي ذي مخرجات التعليم في الجامعات السورية وفي الكليات العلمية من طب وهندسة

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - مرجع سابق - ص ٩٣.

وعلوم... الخ تثبتت جدارتها وتفوقها على مختلف الصعد بسبب دراستها باللغة الأم لأنها الأقدر على الاستيعاب والفهم والتمثل، فإن نفرأ من أبناء الأمة ما يزالون حتى هذه الساعة مصرين على وجهة نظرهم في استبعاد العربية من التدريس الجامعي، ولم يتفهموا ما دعا إليه السيد «بونور» من جهة، وما تطبقه دول أخرى حريصة على التعليم بلغتها الأم من جهة أخرى، على الرغم من أن دستور البلاد ينص على استعمال العربية لغة رسمية في شؤون البلاد كافة انطلاقاً من كونها اللغة الأم، واللغة الوطنية، والقومية، ولغة القرآن الكريم، والمحافظة على الأمن الثقافي العربي من الاستلاب والنوبان والضياع!

## الفصل الثاني

### واقع اللغة العربية في

### الوطن العربي وآفاق التطوير

---



## واقع اللغة العربية في

### الوطن العربي وآفاق التطوير<sup>(\*)</sup>

نحاول في هذا البحث أن نتعرف واقع اللغة العربية في العملية التعليمية التعليمية، وواقعها في خارج نطاق العملية التعليمية في المجتمع، ونقف على هذا الواقع في التعامل مع التقانات الحديثة، لننتقل أخيراً إلى تصور مقترح للنهوض بهذا الواقع والارتقاء به.

#### أولاً- اللغة العربية في العملية التعليمية التعليمية

##### ١-١- في مجال السياسة اللغوية:

من يلق نظرة على واقع اللغة العربية في العملية التعليمية التعليمية يلاحظ غياب السياسة اللغوية على الرغم من أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العربية، ولكن ثمة فجوة بين ما ينص عليه الدستور وما يمارس على أرض الواقع.

ومما ترمي إليه السياسة اللغوية في العملية التعليمية التعليمية:

أ- تعليم مواد المعرفة كافة باللغة القومية، واستعمال اللغة في مختلف المناشط.

ب- تحديد موقع اللغات الأجنبية في نسق النظام التعليمي الرسمي.

---

(\*) بحث ألقى في ندوة «واقع العربية وآفاق التعريب» التي عقدها مكتب تنسيق التعريب بالتعاون مع مجمع اللغة العربية بدمشق والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. دمشق في شهر كانون الأول «ديسمبر» ٢٠٠٩.

ج- تحديد موقع اللغات الأجنبية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة والمدارس الأجنبية وفروع الجامعات الأجنبية في داخل الوطن العربي.

د- تأمين مستلزمات تعليم اللغة العربية الأم لأبنائها وللناطقين بغيرها من اللغات الأخرى إن في داخل الوطن العربي أو في خارجه.

هـ- جعل اللغة القومية مطلباً أساسياً للالتحاق بالجامعات.

و- تنمية الاعتزاز باللغة القومية على أنها عنوان للهوية والانتماء.<sup>(١)</sup>

فاذا ألقينا نظرة على الموقف من اللغات الأجنبية في العملية التعليمية التعليمية فإننا نلاحظ أن ثمة اعتماداً للغة العربية في دول المغرب العربي ابتداء من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي إلى جانب إدراك أهمية تعليم اللغة الأجنبية في عصر المعلومات والعولمة منذ وقت مبكر.

ففي دول المغرب العربي أدركت ليبيا أهمية اللغة الانجليزية وأهمية البدء مبكراً بتعليمها، فأدخلت تعليم الانجليزية بدءاً من الصفوف العليا من التعليم الابتدائي.

وفي تونس لا تدرس اللغة الفرنسية قبل الصف الثالث الابتدائي على الرغم من حفاظ اللغة الفرنسية على وجودها وتحدياتها لجهود التعريب، وكذلك الشأن في بقية بلدان المغرب العربي. ففي الجزائر ما تزال اللغة الفرنسية حاضرة بكثافة، وتحافظ على مؤلها في ثقافة المجتمع الجزائري بصورة أو بأخرى، على الرغم من محاولات التعريب الكثيرة، ولكنها تعليمياً لا تدرس قبل الصف الرابع الابتدائي.

---

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - خطة عمل للتمكين للغة العربية - خطة العمل الوطنية السورية للتمكين أنموذجاً - ندوة تنسيق التجارب العربية في مجال التعريب وقضايا التنمية في عصر العولمة - المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية في القاهرة - ديسمبر ٢٠٠٩ ص ١.

وكانت الجزائر حريصة كل الحرص في بداية الاستقلال على تعريب التعليم، إذ إنها عربت السنة الابتدائية الأولى في العام الدراسي ٦٤-٦٥، وعربت السنة الثانية جزئياً في العام الدراسي ٦٧-٦٨ والسنة الثالثة جزئياً في العام الدراسي ٦٨-٦٩ حيث درست المواد الاجتماعية بالعربية والعلوم والرياضيات بالفرنسية، ثم عربت السنتين الثالثة والرابعة كلياً في الحقبة الممتدة بين ١٩٧١ و١٩٧٤.

واستمر التعريب في الابتدائي والثانوي جزئياً ثم كاملاً إلى سنة ١٩٨٠ حيث شرع بتنفيذ المدرسة الأساسية، وعمت القطر الجزائري كله عام ١٩٨٩، إلى أن شمل التعريب في الثانوي والعالي جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية والحقوق، وبقيت العلوم تدرس بالفرنسية في كل الجامعات ما عدا المدارس العليا الثلاث التي تدرس فيها كل العلوم بالعربية لإعداد أساتذة التعليم الثانوي لتدريس هذه المواد، وتخرجت أول دفعة في إجازة العلوم الاجتماعية في حزيران «يونيو» عام ١٩٨٥.

ولما فتح باب المدارس الخاصة فتحت الأبواب على مصاريعها للغات الأجنبية وخاصة الفرنسية، فأخذ بعضها لا يعلم إلا بالفرنسية، وتعددت وكثرت في البلاد إلى أن اضطرت وزارة التربية أن تلزمها تعليم العربية وتطبيق برامجها.

أما التعليم العالي فهو قلعة محصنة لا تتفد إليها العربية في يومنا هذا، ومعظم المشرفين على التعليم العالي من أساتذة وإداريين لم يتخلصوا من هيمنة اللغة الفرنسية، ويقف التعليم العالي في وجه العربية، وبهذا تصبح نصوص اللغة المالطية أصفى من نصوص العربية الجزائرية على حد تعبير عبد المجيد مزيان وزير الثقافة الجزائري سابقاً.<sup>(١)</sup>

---

(١) للدكتور تركي رابح- مكانة اللغة العربية في التعليم العام والعالي والجامعي من عام ١٩٦٢ إلى نهاية عام ١٩٨٩- مجلة اللغة العربية بالجزائر- ص ٣٢٧-٣٥٤.

وتجدر الإشارة إلى أنه بعد حصول الجزائر على استقلالها استمر الاستعمار الفرنسي في محاربة اللغة العربية بوسائل أخرى منها «إنشاء الأكاديمية البربرية»، وتستعمل الحروف اللاتينية في كتابة الأمازيغية، وكان الهدف تمزيق المجتمع الجزائري تمزيقاً لا يقتصر على استعمال اللسان فحسب، وإنما يمتد إلى العرق، فقد ورد في وثيقة صدرت عام ١٩٧٣ أن «تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس اليوم كله تزيف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة»<sup>(١)</sup>. واعتمدت اللغة الأمازيغية رسمياً إلى جانب اللغة العربية حالياً في الجزائر، وبدأ تعليم اللغة الفرنسية بدءاً من السنة الثانية.

وكان أول قانون لتعميم استعمال اللغة العربية قد صدر في مطلع عام ١٩٩١ بعد مناقشات برلمانية وسياسية على مستوى الأحزاب والمجتمع المدني الواقع تحت سيطرة اللوبي الفرانكفوني، وتبعاً لهذا القانون أنشئ المجلس الأعلى للغة العربية التابع لرئاسة الجمهورية ليسهر على تنفيذ هذا القانون، ولكن المتربصين بالتعريب عملوا على تجميد القانون. وبعد حوالي أربع سنوات أقدم رئيس الدولة الجديد على رفع التجميد عن قانون استعمال اللغة العربية رغم معارضة المعارضين، ولكن الرئيس الذي تولى في نهاية التسعينيات أثر السكوت على القانون المذكور، وهو أمر فهم منه المغرضون أنه رخصة لاستعمال الفرنسية دون حرج، وهكذا أصبحت الفرنسية هي لغة النقاش أمام الشعب في التلغاف، وأصبحت متداخلة مع العربية في القنوات الإذاعية الوطنية والمحلية وفي الإنتاج السمعي البصري.<sup>(٢)</sup>

أما في المغرب فلا تدرس الفرنسية قبل الصف الثالث الابتدائي، وقد أعلن في المغرب أن عقد ٢٠٠٠-٢٠٠٩ هو عقد التعليم مع الاهتمام

(١) الدكتور عمار الطالبي- وضع اللسان العربي في الجزائر- المؤتمر الأول للأعضاء المرسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ٤-٦ أبريل ٢٠٠٩- مجلة الحياة الفكرية - وزارة الثقافة السورية - دمشق ص ٩٤.

(٢) الدكتور أبو القاسم سعد الله- التعريب في الجزائر- المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة «اللغة العربية والتعليم» القاهرة ٢٠٠٩ ص ٦.

المكثف باللغة الانجليزية مؤخراً في كل من المغرب وموريتانيا والجزائر وتونس، إلى جانب اهتمام ليبيا اهتماماً كبيراً بهذه اللغة منذ سنوات عديدة<sup>(١)</sup>.

ولقد مرّ التعريب في المغرب بتجارب لم تؤد إلى النتائج المرجوة بسبب عدم الاستعداد له إن بالنسبة إلى تكوين المعلمين أو بالنسبة لوضع المقررات والكتب المدرسية، وكان يعتمد في الأعم الأغلب على إطلاق شعارات غير مطبقة أو مطبقة بطريقة سيئة، وذلك كان منذ بداية الاستقلال، إذ تم التعامل مع هذا المقوم التعليمي بغير ما ينبغي له، وحين عرّبت العلوم في المرحلة الإعدادية والثانوية لم يثر ذلك غير مشكلات كبيرة للتلاميذ الذين كانوا يضطرون إلى مواصلة تعليمهم الجامعي بغير اللغة العربية. ولعل ذلك كان من بين أسباب الإقبال على تعلم اللغة الإنجليزية والإسبانية والتوجه إلى الجامعات الأمريكية بصفة خاصة.<sup>(٢)</sup>

ولم تهتد السياسة اللغوية في المغرب إلى علة عدم التوازن اللغوي في المجتمع بعد أن تقاسمت اللغة الأجنبية مع اللغات الوطنية الحقول التخاطبية ثم الحقول المعرفية في التعليم العام، ونشأت اختيارات تراتبية في التعليم لصالح اللغة الفرنسية أداة للتفتح والتقانة «التكنولوجيا».

وحاول الميثاق الوطني تجاوز الوضع اللغوي السائد بعد إخفاقات شعارات التعميم والتوحيد، وانتهى شعار (التعريب) بعد المد والجزر إلى الكفء بتعريب بعض المواد العلمية في المستويات الابتدائي والإعدادي والثانوي، والتوقف عند هذا الحد لاستئناف التعليم الجامعي في ميدان العلوم باللغة الأجنبية وهي الفرنسية.

(١) الدكتور علي محمد رحومة- مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي- الجامعة المغربية طرابلس- الطبعة الأولى ٢٠٠٧ ص ٧٧.

(٢) الدكتور عباس الجزائري- واقع اللغة العربية في المغرب - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مؤتمر اللغة العربية والتعليم عام ٢٠٠٩ ص ٦.

وثمة دعوة إلى التعدد اللغوي في الميثاق الوطني، والتبرير الوحيد الذي يقدمه الميثاق لذلك هو أن اللغات الحديثة تملئها ضرورة الانفتاح على الحياة العصرية، وهي وسيلة لفك العزلة الثقافية عن الأجيال الصاعدة وتسهيل عملية الاندماج في التنمية.

والوضع اللغوي في المغرب يشتمل على لغات متنوعة إلى جانب اللغة الوطنية، وهذه اللغات هي:

١- لغة الأم وهي العربية العامية في مجمل البلاد، والأمازيغية تؤدي هذه الوظيفة في المناطق التي لم ينتشر فيها التعريب.

٢- اللغة العربية الفصحى، وهي اللغة الوطنية الرسمية ولغة الثقافة والتعليم.

٣- اللغات المدرسية الأجنبية وتعد الفرنسية هي اللغة الأجنبية الأولى، وبها تدرس معظم المواد في الدراسات العليا وتدرس إلى جانبها اللغات الانجليزية والإسبانية ابتداء من المراحل التعليمية العامة.<sup>(١)</sup>

وثمة وعد ملكي بمنح اللغة الأمازيغية ما تستحقه من مكانة في المجتمع، فصدر قرار بإنشاء المعهد الملكي للدراسات الأمازيغية، كما تقرر إدراج اللغة الأمازيغية في المنظومة التعليمية في المغرب تدريجياً.

ويدل رصد واقع اللغة العربية في المغرب العربي على أن السياسة اللغوية المتبعة تجاهها هي سياسة عدم التدخل، وسياسة عدم التدخل تنتهجها الدول حينما تكون لغتها الوطنية قوية متمكنة لا يخشى عليها. وأما حين تكون اللغة الوطنية مهددة باللغات الدوارج واللغات الأجنبية وبضعف الإمكانيات المتاحة لتعلمها وبانحسار تداولها في الإعلام والإدارة وغيرهما، وبترجع وضعها الاعتباري في مجال العلوم والاقتصاد، فإن ذلك يعد إسهاماً في هذا الوضع وإيقاءً عليه.<sup>(٢)</sup>

(١) الدكتور عباس الصوري- في الوضع اللغوي بالمغرب - المؤتمر الأول للأعضاء

المراسلين لمجمع اللغة العربية في القاهرة ٤-٦ أبريل ٢٠٠٩ ص ١

(٢) الدكتور عز الدين البوشيخي - نحو مقارنة وظيفية تواصلية لتعليم اللغة العربية -

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩ ص ٧.

وإذا انتقلنا إلى دول الخليج العربي فإننا نلاحظ أن الحكومات تبذل من الناحية الرسمية المعلنة كل ما في وسعها لدعم مواقف اللغة العربية، وتعمل جاهدة كما هو ظاهر على تعزيز مكانتها والحفاظ عليها انطلاقاً من كونها لغة الدين والتراث، وهي اللغة الأساسية الأولى للمجتمعات التي تحكمها وتديرها وللشعوب التي ترعاها وتسهر على مصلحتها.

إلا أن الواقع العملي يناقض في حقيقة الأمر ما تسنه الحكومات من قوانين نظرية وما تعلنه من نداءات لدعم اللغة العربية وتعظيم مكانتها. بل إن من السياسات والإجراءات المعمول بها حالياً في هذه الدول ما يعمل على إضعاف اللغة والتقليل من فاعليتها، ويشكل تحدياً لمسيرتها، ويعطل في نهاية الأمر الكثير مما تهدف إليه المناهج المتعلقة بتعليمها وتعلمها، وإن معلمي اللغة والمعنيين بشؤون اللغة عامة لا يملكون تجاه ما يشاهدونه من فوضى لغوية مفروضة عليهم، وما يشاهدونه من تحديات للغتهم على مختلف المستويات إلا أن يسلموا ويستسلموا حتى وإن رأوا أن كل ذلك يتسع ويزداد يوماً بعد يوم، ولكنهم ربما تساءلوا في حيرة وإحباط سراً وعلانية عن جدوى ما يعلمونه لتلاميذهم من عناصر اللغة القومية وصيغها وأساليبها ومهاراتها وعن مدى فاعلية ما يقرر في مناهج تعليم اللغة من موضوعات ومواد في حياتهم العملية ما دامت الأمور تسير باللغة في الاتجاه المعاكس.<sup>(١)</sup>

وإذا كانت أقطار الأمة العربية تكون في حقيقتها مجتمعاً واحداً موحداً في جذوره وأصوله تربط بينه روابط اللغة والتاريخ والعقيدة والأعراف والتقاليد والآمال والألام ووحدة المصير فإن السياسة اللغوية ومن ثم التخطيط اللغوي غائبان عن دول المغرب العربي وعن دول الخليج العربي في الوقت نفسه، وعلى الرغم من أن مجتمع الخليج العربي تربط بينه روابط النسب

(١) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - المملكة العربية السعودية نموذجاً - اللغة العربية والتعليم - رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية - أبو ظبي ٢٠٠٨ ص ٣٢٤.

والدم والبيئة والجوار إضافة إلى روابط اللغة والدين والتاريخ والتراث المشترك، كما تسود بين أفراد وطبقاته منذ تاريخ طويل وحتى الوقت الحاضر عادات وتقاليد وثقافات متشابهة إن لم تكن متطابقة، وتتنظم حياتهم خلفيات حضارية وأنماط من التفكير والتعايش ممتاثلة، إلا أن ثمة غياباً للتخطيط اللغوي المشترك لتعليم اللغة العربية وتعلمها، إذ إن المناهج تُعد في وضعها على الاجتهادات الفردية والتصورات الشخصية والانطباعات الذاتية والنظم التقليدية المتحكمة فبات لكل من دول الخليج مناهجه وطرقه وسلسلة كتبه الدراسية الخاصة به، وله مقاييسه ومعاييرها التي اعتمد عليها في وضع المناهج.

وإن مسؤولية غياب التخطيط اللغوي الشامل لا تقع كلها على عاتق المعنيين بشؤون اللغة من الباحثين والدارسين، فقد تكون النوايا من عدا اجتماعات هؤلاء ولقاءاتهم جادة، وتكون الجهود التي يبذلونها في تنظيمها وتحديد محاورها وموضوعاتها خالصة، كما تكون البحوث والمداخلات رصينة، والمناقشات والحوارات بينهم دقيقة، وتعد ورش عمل وندوات معمقة وهادفة، وتكون النتائج والتوصيات صريحة في تحديدها للمهام ووجهات العمل والتنفيذ والإشراف، إلا أن أعمال هؤلاء الباحثين والدارسين على الرغم من كل هذه الإيجابيات فيها قد لا تصل أو لا يصل منها شيء إلى حيز التنفيذ، لأن تنفيذ القرارات المتعلقة بالتخطيط اللغوي ليس بيد العلماء والباحثين، وإنما هو بيد من يمتلكون الحل والعقد، فهو خاضع لإرادتهم، ومن يمتلكون الحل والعقد في عالمنا قليلاً ما يدركون أهمية ما ينظر إليه التربويون واللغويون ويخططون من أجله، ويوصون بتنفيذه.<sup>(١)</sup>

وكانت اللغة العربية هي المعتمدة في مرحلة التعليم الأساسي في دول الخليج العربي، ولكن ثمة توجه في المملكة العربية السعودية إلى التعليم باللغة الانجليزية وخاصة العلوم والرياضيات في هذه المرحلة، ولقي هذا التوجه

(١) المرجع السابق ص ٣٢٧ - ٣٢٨.



معارضة شديدة من حيث إن اللجوء إلى تعليم هذه المواد باللغة الانجليزية إنما هو تعبير عن شكوك في إمكان تعليم هذه المواد باللغة العربية.

وصدر عن وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية نظام جديد يسمح للمدارس الأهلية «بنين وبنات» بتدريس جميع المواد بلغة غير عربية ما عدا العلوم الدينية والعربية.<sup>(١)</sup>

وفي دولة قطر هناك المدارس المستقلة بإشرافها، وقد اعتمدت فيها اللغة الانجليزية لتدريس مواد العلوم والرياضيات والحاسوب، ومن نتائج هذا التوجه أن النظام التعليمي الجديد قد تخلّى عن التدريس باللغة الرسمية التي نص عليها الدستور، وأصبحت اللغة العربية لغة ثانية للتعليم مما سيضعف الاعتزاز بها لدى الناشئة. ومن نتائج أيضاً أن المدارس تعين أربعة مدرسين في كل مدرسة من المتحدثين باللغة الإنجليزية لغة أصلية لتدريس اللغة الانجليزية والعلوم والرياضيات والحاسوب. ومعنى هذا إزاحة عدد كبير من المدرسين والمدربات من القطريين وغيرهم من العرب لإحلال أجانب بدلاً منهم من البريطانيين والأمريكيين وغيرهم من الجنسيات التي تتحدث شعوبها باللغة الانجليزية لغة أصلية.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة اتجهت وزارة التربية نحو اعتماد اللغة الانجليزية في تدريس العلوم والرياضيات في مدارس الدولة من الأول الابتدائي إلى الثاني عشر بحجة تأهيلهم للدراسة الجامعية ومتطلبات سوق العمل.

وفي مجال التعليم العالي كانت جامعة قطر تعلم العلوم كلها بالعربية عند إنشائها. وفي السنوات الأخيرة عدلت عن العربية إلى الانجليزية حتى

---

(١) الدكتور عوض بن محمد القوزي - التعليم باللغة الانجليزية في مراحل التعليم العام في المملكة العربية السعودية - مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمره «اللغة العربية والتعليم» القاهرة ٢٠٠٩ ص ٣.

العلوم الإنسانية والاجتماعية تدرس بالانجليزية وكلية الشريعة يشترط لدخولها النجاح في اختبار Tofel بالانجليزية.<sup>(١)</sup>

وإن الداعين إلى استعمال اللغة الإنجليزية يرون أن الإنجليزية هي لغة العصر، وأن إتقان التلاميذ لها يساعدهم على التعلم فيما بعد في الجامعات الأجنبية، كما يتيح لهم في المستقبل فرصاً أكبر للحصول على عمل في الشركات والمؤسسات الأخرى.

بيد أن ثمة شكوى في بعض الأوساط في دولة قطر من مزاحمة الإنجليزية للعربية خاصة في التعليم ما قبل الجامعي وفي التعليم الجامعي وخصوصاً في السنوات الأخيرة، ثم من مزاحمة العامية القطرية والعاميات العربية في التعليم، ومزاحمة اللهجات الآسيوية في محيط الحياة الاجتماعية وخاصة في المنازل.

ووضعت جامعة قطر مقررين في اللغة العربية ضمن المتطلبات الجامعية الإلزامية على جميع طلابها وطالباتها من أجل تمكينهم من مهارات اللغة العربية محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة.

وفي جامعات الإمارات العربية المتحدة تهيمن اللغة الانجليزية على التخصصات كافة حتى إن عدداً كبيراً من مقررات أقسام اللغة العربية تدرس بالانجليزية، وتستعمل الانجليزية أيضاً في المناقشات في مجلس الجامعة في جامعات عمان وفي المراسلات وكتابة أسماء الطلاب وإعلان نتائجهم.. الخ.

ويعد التمكن من اللغة الانجليزية أساساً للقبول والتدريس والتخاطب الرسمي والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية، بل إن أقسام الطب والعلوم الطبية المساندة والعلوم الطبيعية والبحث لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة الانجليزية بمختلف مهاراتها، أما مهارات اللغة العربية فلا يكاد يذكر منها شيء لأنها لا تستعمل في مثل هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة

(١) الدكتور يوسف القرضاوي - مجلة الحياة الفكرية - العدد (٢) - وزارة الثقافة السورية - بحث اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى - دمشق ٢٠٠٩ ص ١٢٤.

من التعامل وفي تدريس قليل من المواد التكميلية المهمشة، وهذا ما يقلل من ممارستها بين المنتسبين إلى هذه الأقسام من أفراد المجتمع فترات طويلة من الزمن، ويبعثهم في النهاية على نسيان الكثير مما تعلموه من قواعدها وأصولها ومهاراتها، ويدفعهم في نهاية الأمر إلى الانصراف عنها بدافع الإحساس بقلة فاعليتها، وهذا ما يضعف ولاءهم لها ولثقافتها في كثير من الأحيان.<sup>(١)</sup>

ومعلوم أن المنتسبين إلى هذه الأقسام طلاباً وأساتذة وموظفين أصبحوا يشكلون شريحة كبيرة من المجتمع الخليجي الراهن، وهذه الشريحة آخذة في الازدياد يوماً بعد يوم بسبب التطورات الواسعة الحاصلة في دول المنطقة في مجالات الصناعة وال عمران وجوانب الحياة المختلفة، والطلب المتزايد على المتخصصين في المجالات العلمية والتقنية، وتقديم مختلف الإغراءات المعنوية والمادية لهم.

أما أحاسيس الذين مارسوا أو يمارسون تعلمهم باللغة الأجنبية في الأقسام العلمية فإن المواقف السلبية تجاه اللغة العربية تزداد حينما تتسلل إلى حياة الناشئة والمتعلمين في مراحل تعليمهم في التعليم الأساسي والثانوي، فتدفعهم إلى الاستهانة بدروس اللغة العربية وموادها أو الفئور في الإقبال عليها على اعتبار أنها مواد غير أساسية، لأنها لن تكون مهمة مستقبلاً مقارنة بدروس اللغة الانجليزية والمواد العلمية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد وأحلام جميلة، لأنه يعد بالقبول في التخصصات التي تهيئ الدارس لمناصب وظيفية عالية وعوائد مالية مغرية.<sup>(٢)</sup>

ومن المظاهر السلبية للسياسة اللغوية في دول الخليج عدم توفير الحوافز اللازمة لمدرسي اللغة العربية، إذ إن وزارات التربية تعينهم في مراتب وظيفية أدنى من مراتب نظرائهم من أصحاب التخصصات العلمية

(١) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - مرجع سابق ص ٣٤٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤

وبمرتبات أقل من رواتبهم، وربما دونهم فيما يحصلون عليه من الحوافز وفرص التدريب والتطوير، بل إنها قد تميز مدرسي اللغة الانجليزية عليهم في التوظيف والعطاء وما تضعه من حوافز، وهذا ما يدفع إلى كراهية هذه الوظيفة والنفور منها، وحينئذ لا جدوى من تغيير المناهج أو تطويرها مادام القائمون على تنفيذها قد فقدوا الولاء لها والإيمان بفائدتها.<sup>(١)</sup>

ولم يقتصر هذا الوضع على دول الخليج العربي وإنما كانت ثمة نظرة فوقية من ذوي الثقافة الفرنسية إلى الدارسين بالعربية في دول المغرب العربي، فقد نشأت شريحة من الجزائريين تخرجت في مدارسها بعد الاستقلال تنطق باللسان العربي، فإذا هي بمنزلة اليتامى لغوياً فلا هم شرقيون، ولا هم غربيون، سدت الأبواب أمامهم، وأخذت مفاتيحها طائفة أمية في اللسان العربي من الذين يتحكمون وما يزالون في مقاليد معظم الإدارات الحكومية، فغشى على قلوبها كره وخوف على مصالحها، وتعصب جعلها تجرؤ على احتقار العربية إن سراً وإن علانية، ويسمون الناطقين بالعربية بالرجعية والتخلف والعاهات الذهنية.

وأصبح هؤلاء المعربون من حملة الشهادات العربية مبعدين عن الوظائف التي يمسك بزمامها أصحاب الفرانكفونية في أعلى هيئات الدولة والمؤسسات التربوية وغيرها.<sup>(٢)</sup>

وإذا كانت هذه النظرة الفوقية ضد الدارسين بالعربية والمتخرجين في مدارسها وجامعاتها ومعاهدها ظاهرة في دول المغرب العربي يمارسها الفرانكفونيون، وفي دول الخليج العربي يمارسها نوو الثقافة الانجليزية فإن بقية الدول العربية كما هي عليه الحال في سورية ومصر والعراق والأردن والسودان، هي في منأى عن هذه النظرة الفوقية، وإن كانت ثمة جهات في هذه الدول قد بدأت تتحو هذا المنحى سراً لا علانية، في تفضيل خريجي الجامعات

(١) المرجع السابق ص ٣٤٥

(٢) الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - مرجع سابق ص ٩٨

لغربية والأمريكية في التعيين في بعض التخصصات الطبية والعلمية والتربوية على خريجي الجامعات العربية، علماً بأن حاملي البورد العربي في الطب مشهود لهم بالكفاية والتفوق والتميز على نطاق الساحة القومية، كما أن خريجي الجامعات السورية في مختلف ميادين المعرفة، والذين درسوا بلغتهم الأم «العربية الفصحى» يتفوقون في دراساتهم العليا في الجامعات الأوروبية والأمريكية، ويبنون أفرانهم الذين درسوا باللغة الأجنبية في بعض جامعات الوطن العربي، وقد عزا عميد كلية طب الأسنان في الجامعة الفرنسية بباريس هذا التفوق إلى أنهم درسوا بلغتهم الأم، فكانوا أكثر فهماً وتمثلاً واستيعاباً، كما أثبتت الدراسات والبحوث في هذا المجال صحة ما ذهب إليه العميد الفرنسي.

وتجدر الإشارة إلى أن نفراً غير قليل من خريجي الجامعات السورية الذين أكملوا دراساتهم العليا في الجامعات الأمريكية والأوروبية يتسلمون حالياً مناصب أكاديمية رفيعة في تلك الجامعات الأمريكية والأوروبية، ولم تكن دراساتهم للطب والعلوم بلغتهم العربية بحائل دون ذلك التسلم بكل كفاية وجدارة.

وثمة ظاهرة سلبية في مضمار السياسة اللغوية تتجلى في وجود المدارس والجامعات الأجنبية على الأرض العربية وزيادة عددها في الآونة الأخيرة، وهذه المدارس والجامعات الأجنبية تتبع جهة أخرى في مناهجها لا صلة لها بالوطن، ولا بالمجتمع العربي وهويته وثقافته وحضارته وتاريخه، ولهذا يعيش الطلاب فيها بعقول أخرى وقلوب أخرى وضمانات أخرى لا يكادون يحسون بالانتماء الحقيقي لأوطانهم أو يعتزرون بأمتهم أو تاريخهم أو هويتهم لأنهم يدرسون تاريخ لمة أخرى وحضارة أخرى لا تاريخ أمتهم ولا حضارتها.

وهذه المدارس والجامعات تجذب أفضل التلاميذ والطلبة إليها من أبناء الطبقة العليا والوسطى، وهؤلاء يعيشون غرباء في وطنهم لأنهم لا يستطيعون التفاعل معه عبر الكلمة العربية المقررة والمسموعة في أجواء هذه المدارس والجامعات.<sup>(١)</sup>

(١) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى - مرجع سابق ص ١٢٦.

وإذا كان الاستعمار بمختلف ضروبه قد حارب اللغة العربية إن في دول المغرب العربي أو في بلاد الشام على يد الاستعمار الفرنسي أو في مصر وفلسطين والعراق على يد الاستعمار البريطاني فإن حرب اللغات مستمر في بلادنا العربية في ظلال العولمة، وما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد العربية وتهميشها فإننا نعمل على تحقيقه في بلادنا العربية عندما نستعمل اللغة الانجليزية في التعليم في جامعاتنا وفي المدارس الخاصة ونبعد العربية، وعندما تستقطب المدارس الخاصة والجامعات الخاصة أبناء الطبقات الاجتماعية العليا والمتوسطة، وعندما يفسح في المجال للخريجين منها التوظيف، ويحال دون الخريجين المؤهلين بالعربية، وعندما جعلنا اللغة العربية في أدنى درجات السلم التعليمي والاجتماعي في كثير من المواضع، وقد يعجب أحدنا لما آل إليه الوضع عندما «يطلب إلى أهالي بعض تلك الطبقات الاجتماعية أن يتحدثوا بالأجنبية مع أولادهم وبناتهم في البيت حتى يثبتوا ما اكتسبوه من تعلم وتميز»<sup>(١)</sup>.

ولو كانت ثمة سياسة لغوية تحرص السلطات المسؤولة في الدول العربية على انتهاجها لتحديد الموقف من اللغات الأجنبية وتحديد موقع اللغة القومية على نطاق الساحة العربية في العملية التعليمية التعلمية لما آل الوضع إلى ما آل إليه حالياً.

## ٢- في مجال المناهج:

طالما تتردد الشكوى من القصور في مناهجنا اللغوية في العملية التعليمية التعلمية على نطاق الساحة القومية، إذ إن المنهج بمفهومه المنظومي الشمولي المتكامل أهدافاً وخطّة ومقررات ومحتوى وكتاباً وطرائق وأساليب ومناشط وتقنيات وتقويماً وبيئة تعليمية تعلمية ما يزال هذا المفهوم قاصراً

---

(١) الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - الوثيقة الإقليمية لمناهج تعليم وتعلم اللغة العربية - الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم - القاهرة ٢٠٠٩ ص ١٨٥.

لدى شريحة غير قليلة من المشرفين على العملية التربوية والمنفذين لها، وما تزال النظرة الضيقة للمنهج تحصره في الكتاب المدرسي.

ومن الملاحظات التي توجه إلى مناهجنا أنها تعتمد في وضعها على الاجتهادات والخبرات الشخصية والانطباعات الذاتية في منأى عن المعايير الموضوعية والتجارب العلمية المنضبطة والميدانية، فالمفردات الواردة في كتب الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي لا تراعي مبدأ الشروع والتواتر، والمباحث النحوية في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي لا تراعي في بعض جوانبها النحو الوظيفي، وموضوعات التعبير التي يمارسها المتعلمون تتأى في بعض استعمالاتها عن مواقف الحياة النابضة الزاخرة من التدريب على كتابة محاضر الجلسات وملء الاستمارات وأصول المراسلات وتوجيه التعليمات والإرشادات، وإلقاء الكلمات في المناسبات، وإدارة الاجتماعات، وآداب المناقشات، واحترام الرأي في التعقيبات.... الخ.

ومن الملاحظات على طرائق التدريس أنها تتسم بالتلقين وأن نسبة مشاركة المتعلمين في الوصول إلى الحقائق والأحكام والقواعد ما تزال ضعيفة، إذ إن العبء يلقى على كاهل المعلم في الإلقاء والتحفيز والتسميع، وأن على المتعلم أن يحفظ ويستظهر ما حفظه، وبقدر درجة حفظه واسترجاعه لما حفظه يعد متمكناً من اللغة في نظر القائمين على تعليم اللغة وتعلمها حتى إذا جاء المتعلم ليستعمل اللغة في مواقف الحياة بدا عليه الارتباك والعجز لأنه لم يدرّب على استعمال اللغة في مواقف الحياة، وما تتطلبه تلك المواقف من لغة وظيفية.

وثمة فوضى واضطراب في إعطاء الدروس في مختلف مراحل التعليم بسبب غياب الأهداف، والجمود في استخدام الطرائق، وقلة استخدام التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها، والتحيز لطريقة واحدة على أنها المثلى في الوقت الذي تأخذ فيه التربية المعاصرة بأسلوب الانتقائية في العملية التعليمية التعلمية فتعتمد الإيجابيات من كل طريقة دون التعصب لإحداها.

ففي تعليم القراءة في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي كانت تستخدم الطريقة التركيبية التي تنتقل من الجزء إلى الكل أي من الحرف إلى المقطع فالكلمة فالجمله، ثم استخدمت الطريقة التحليلية التي تتطرق من الجملة أو الكلمة إلى المقطع فالحرف، ومن ثم اعتمدت الطريقة التوفيقية التي تجمع بين التحليل والتركيب.

وفي تعليم القواعد النحوية في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي استعملت الطريقة القياسية أولاً ثم عدل عنها إلى الطريقة الاستقرائية، وتم العول عنها إلى الطريقة المتكاملة التي تتطرق من النص المشتمل على الأمثلة التي تشتمل على القاعدة، حيث تستقرى هذه الأمثلة وصولاً إلى القاعدة.

وفي تعليم الأدب كان المنهج المتبع أن يدرس الأدب وفق العصور الزمنية بدءاً من العصر الجاهلي وانتهاء بالعصر الحديث مروراً بالأدب في صدر الإسلام فالأموي فالعباسي فالأندلسي فعصر الانحدار، وثمة من دعا إلى تعليم الأدب وفق الفنون، ومن دعا إلى تعليمه وفق الأقاليم، ثم رئي أن يدرس في ضوء المنهج التكاملية والنظرة الكلية فلا يدرس وفق الفنون وحدها، ولا وفق الأقاليم وحدها، ولا وفق العصور الزمنية وحدها، وإنما ينظر إلى هذه جميعاً في إطار من الشمولية والنظرة الكلية.

ولم يعد الأدب يدرس وفق المنهج البلاغي وحده، ولا وفق المنهج النفساني وحده، ولا وفق المنهج الاجتماعي وحده، ولا وفق المنهج الهيكلائي وحده، وإنما وفق هذه المناهج جميعاً في إطار من الوحدة والتكامل فيما بينها.<sup>(١)</sup>

ومن الملاحظات التي توجه إلى مناهجنا التربوية اللغوية أنها ما تزال في الأعم الأغلب تعتمد نظرية الفروع في تعليم اللغة وتعلمها، فثمة وقت مخصص للإملاء، وثان للقواعد، وثالث للتعبير، ورابع للقراءة.. الخ وثمة كتب خاصة بكل فرع، في الوقت الذي تتطرق فيه التربية الحديثة من النظرة

---

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - مطبعة جامعة دمشق

٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ ص ٢٧٢.



إلى اللغة على أنها وحدة متكاملة، و أن الانفصال في تعليم اللغة لا يخدم ممارسة اللغة في المواقف الحية، وأن فروع اللغة ليست إلا أجزاء لكل، تتكامل لتؤدي وظيفة التواصل اللغوي، فالقواعد النحوية وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، والإملاء وسيلة لصحة الكتابة من الخطأ، والقراءة والنصوص وسيلتان لزيادة الثروة اللفظية ومدّ المتعلم بالفكر والمعاني والقيم والأساليب والصور التي يعمل على توظيفها في مواقف النشاط اللغوي في تفاعله مع المجتمع.<sup>(١)</sup>

وكانت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد عملت على رصد مشكلات تعليم اللغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، إذ قام الخبراء المتخصصون في هذا المجال في اجتماعهم الذي عقد في عمان عام ١٩٧٤ بترتيب هذه المشكلات ترتيباً تنازلياً على النحو التالي:<sup>(٢)</sup>

- ١- عدم عناية مدرسي اللغة العربية وغيرهم من مدرسي المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة.
- ٢- منهج تعليم اللغة العربية لا يخرج القارئ المناسب للعصر.
- ٣- عدم توافر قاموس لغوي حديث في كل مرحلة من مراحل التعليم العام.
- ٤- الافتقار إلى أدوات القياس الموضوعية في تقويم التعليم اللغوي.
- ٥- قلة استخدام المعينات التعليمية والتقنيات الحديثة في تعليم اللغة.
- ٦- ازدحام منهج النحو بالقواعد وكثير منها ليس وظيفياً.
- ٧- صعوبة القواعد النحوية واضطرابها.
- ٨- افتقار طرائق تعليم القراءة للمبتدئين إلى دراسات علمية.
- ٩- الانتقال الفجائي في التعليم من عامية الطفل إلى اللغة الفصيحة.

(١) المرجع السابق ص ٢٧١

(٢) اجتماع خبراء متخصصين في اللغة العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دار الطباعة الحديثة بالقاهرة ١٩٧٥.

١٠- اضطراب المستوى اللغوي بين كتب المواد، بل وبين كتب المادة الواحدة في الصف الواحد.

١١- دراسة الأدب والنصوص لا تصل التلميذ بنتائج حاضره وتراث ماضيه وصلاً يظهر أثره في حياته.

١٢- طغيان الماضي على الحاضر في تدريس الأدب.

١٣- نقص عدد المتعلمين المتخصصين وانخفاض مستواهم.

١٤- بعد اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المدارس عن فصحي العصر.

١٥- صعوبات الكتابة العربية.

تلك هي المشكلات الأساسية التي أشار إليها الخبراء، وثمة مشكلات فرعية أضيفت إليها، وتتمثل في:

١- تعدد الجهات التي تقوم بإعداد معلمي اللغة العربية واختلاف مستوياتها.

٢- قلة الدراسات العلمية التي تتخذ أساساً لبناء المناهج وإعداد الكتب المقررة.

٣- ضعف العناية بتطبيق الطرائق التربوية الحديثة في تعليم اللغة.

٤- قلة المناشط المدرسية المتعلقة باللغة، وعدم اهتمام المتعلمين بها.

٥- عدم تقديم الميزانيات الكافية للمناشط الثقافية واللغوية.

٦- قلة ربط التعليم اللغوي بالثقافة العامة، وضعف الوسائل التي تتخذ لذلك.

٧- عدم كفاية الجهود التي تبذلها المؤسسات المعنية باللغة العربية وعدم التنسيق بينها.

٨- عدم توافر مواد القراءة الحرة للتلاميذ في مختلف المراحل.

٩- اختلاف قواعد الإملاء التي يتعلمها التلاميذ في البلاد العربية، وقصور هذه القواعد في ربطهم بالرسم القرآني.

١٠- كثرة توصيات المؤتمرات الخاصة بالنهوض بتعليم اللغة العربية وعدم الجدية في تنفيذها.

- ١١- تأثير وسائل الإعلام على الجهود التي تبذلها المدرسة في تعليم اللغة.
- ١٢- الضعف الظاهر في خطوط التلاميذ، وعدم العناية بإعداد معلمي الخط العربي.

وإذا كانت تلك هي مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي فإن أغلب تلك المشكلات ما تزال قائمة ونحن في نهاية العقد الأول من الألفية الثالثة، إذ ما تزال الصيحات تتطلق من هنا وهناك تشير إلى جوانب القصور في تعليم اللغة وتعلمها، فإذا كانت الأهداف المرسومة لتعليم اللغة وتعلمها ترمي إلى إكساب المتعلمين المهارات اللغوية محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة فإن ثمة من يرى في أيامنا هذه أن المباحث النحوية ما تزال تنوء بأثقال الطرائق التقليدية التي لا قبل للأطفال بها، وأن النحو لا يعدو أن يكون آلية حركات في أواخر الكلام، وأما أن تكون الأحكام النحوية سبيلاً لإدراك جمال اللغة، وتدوق أساليبها، والتفكير في معانيها ومقاصدها، وصياغة تراكيبها، وسلامة متنها، فذلك كله بعيد المنال لم تنتهياً له أسبابه، فالمناهج منقولة منفرة، والاختبارات شكلية لا تحاسب التلميذ إن أخطأ في التعبير أو الكتابة أو عجز عن الفهم، فيتخرج في التعليم الثانوي، وهو خال من محصول يؤهله بما فيه الكفاية للدرس الجامعي، لفقدانه الممارسة الصحيحة في استعمال اللغة والتعبير بها تعبيراً نخبين فيه الصلة بين القواعد النحوية وصيغ الكلام السليم، وربما يتخرج الطالب في الجامعة وهو لا يحسن أن يحرر خطاباً على وجهه السليم، وقد يغدو مدرساً في الجامعة بعد ذلك فيكون كارثة على طلابه وعلى المعرفة<sup>(١)</sup>، وما تزال الشكوى من صعوبة فهم قواعد اللغة العربية وتعليمها مفصولة عن التطبيق والممارسة.<sup>(٢)</sup>

(١) الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - مرجع سابق ص ١٠٤.

(٢) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى - مرجع سابق ص ١٢٢.

ويرى بعضهم أن المرض الرئيس الذي يعاني منه الوضع الثقافي العربي فكراً ولغة وممارسة سيادية هو تعدد مناهج التعليم في الوطن العربي بتأثيرات إقليمية مرضية تطلق على العملية ألقاب مملكة في غير موضعها فهي جزارة وسعودة ولبننة وتونسنة... الخ<sup>(١)</sup>.

ويذهب آخرون إلى أن اللغة العربية تؤدي بأردأ المناهج، ويتولى تعليمها أقل المدرسين تأهيلاً، وأنها تعرض على التلاميذ بأبشع الوسائل، ويفصل فصلاً تاماً بين التلميذ وهذه اللغة بمختلف الحواجز، فهي لغة ميتة في حياته اليومية، لا يجد التشجيع على إجادتها، ولا النصوص الجيدة التي تجعله يتعلق بها<sup>(٢)</sup>.

وجاءت نصوص الحداثة مندثرة بالغموض والعبث واللامعقول والقبح الأسلوبي والتفكك السياقي لتجعل من نصوصنا الشعرية على وجه الخصوص نصوصاً بهلوانية هزيلة ومعزولة عن الذائقة العربية، وأصبح التركيز على وصف الكلمات المتنافرة والجمل الباهتة، وتعتمد الخطأ النحوي في النص من ملامح النص الأدبي ومن وجهة نظر الحداثة<sup>(٣)</sup>.

وما يزال محتوى مناهج اللغة العربية على نطاق الساحة القومية يركز في الأعم الأغلب على الارتباط بالماضي أكثر مما يركز على الحاضر والمستقبل، ويهمل التفكير الناقد والتفكير الإبداعي والابتكاري<sup>(٤)</sup>.

ومن الملاحظ على المناهج في دول الخليج، والسعودية مثال عليها، أنها لا تشمل إلا على كتب دينية وأخرى تقليدية قديمة من حيث مضامينها،

---

(١) محي الدين عيمور - راهن العربية في أوطانها في كتاب «الراهن والمأمول» الصادر عن المجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر ٢٠٠٩ ص ٥٣.

(٢) الدكتور أحمد الضبيب - أزمة اللغة العربية في التعليم - مجلة الحياة الفكرية العدد (٢) - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٩ ص ٢٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٧

(٤) الدكتور محمود أحمد السيد - في الأداء اللغوي - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥.

وقاصرة عن التعبير عن روح العصر ولغته وأنماط التفكير فيه، وما تتضمنه مقررات العربية من الموضوعات والنصوص لا يمت إلى ثقافة المجتمع أو طبيعة تفكيره بصلة قريبة، ولا يرتبط بواقع التلاميذ<sup>(١)</sup>.

وفي المغرب العربي ثمة جمود في مناهج التعليم، وضعف في مقرراتها وعدم ملاءمتها على كثرتها، فهناك مقرر الفكر الإسلامي في إحدى سنوات المرحلة الإعدادية يشتمل على موضوع واحد من أصعب موضوعات الفقه، ويتعلق بالإرث والتركات والوصايا، ويؤدي إلى التنفير من هذا الفكر، بالإضافة إلى أنه غير مفيد على الإطلاق في هذه المرحلة، ولا يمكن أن يكون مفيداً ونافعاً إلا للذين يسعون إلى أن يكونوا موثقين أو عدولاً وقضاة للأحوال الشخصية. ويزيد في الطين بلة أن مدرسي هذه المادة أنفسهم كانوا عاجزين ليس فقط عن تدريسها، ولكن حتى عن فهمها وإدراك دلالات مصطلحاتها<sup>(٢)</sup>.

وفي التعليم الجامعي ثمة دهشة من تدريس الأدب في جمهورية مصر العربية، إذ يقول بعضهم متسائلاً ومتعجباً: «لسنا ندرى كيف يمكن أن يقدم الأديان العباسي والأندلسي في فصل دراسي واحد وفي أربع ساعات فقط، مع اتساع آفاق هذين الأديبين زمنياً وموضوعياً؟ بل ولسنا ندرى كيف يمكن أن يقدم الأدب الحديث في الإطار الزمني نفسه، رغم انشعابه بين فنون الشعر والقصة والمسرحية والمقالة، وتطور هذه الفنون عبر أمزجة كلاسيكية ورومانسية ورمزية وواقعية؟!»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) للدكتور أحمد محمد المعروق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - المملكة العربية السعودية نموذجاً - مرجع سابق ص ٣٢٩.

(٢) عباس الجراري - واقع اللغة العربية في المغرب - مرجع سابق ص ٦.

(٣) للدكتور محمد فتوح أحمد - تدريس الأدب في الجامعات المصرية - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مؤتمر «اللغة العربية والتعليم» - القاهرة ٢٠٠٩ ص ٣.

وفي تدريس البلاغة والنقد، يدرس في الفرقة الأولى علما المعاني  
والبديع من البلاغة العربية، وفي الفرقة الثانية علم البيان وقضايا النقد العربي  
القديم. أما النقد العربي الحديث فيدرس في الفرقة الثالثة بأجناس القول، ومن  
ثم يقع الدرس البلاغي والنقدي فيما وقع فيه الدرس الأدبي من الانتقال إلى  
التعامل مع النتاج الإبداعي تدرجاً من الأحدث إلى الأقدم، ويضاف إلى ذلك  
تجزئة النظر إلى الظاهرة الأدبية، حيث هي في واقع الأمر كل عضوي لا  
يقبل التجزئة.<sup>(١)</sup>

ومعلمو اللغة العربية لا يملكون الكفايات المطلوبة في الأعم الأغلب،  
ونسبة كبيرة ممن يولون مهام تعليم اللغة العربية في مراحل للتعليم المختلفة هم  
من نوي المستويات المنخفضة في التحصيل الدراسي، أو من الخريجين الذين لم  
تتوافر لهم فرص وظيفية أخرى مغربية، كما أنهم بعد تعيينهم لا يخضعون  
لدورات تدريبية كافية على نحو يسائر تطورات العصر ومستجدات الحياة، ولا  
تعطى لهم الحوافز المادية والمعنوية التي تجدد نشاطهم، وتبعثهم على الرضا  
والإخلاص في عملهم، وهذا ما أدى إلى كراهية المهنة، أو عدم اقتناعهم بأهمية  
هذه المهنة، واللجوء إلى ممارسة أعمال أخرى وعدم التفرغ للوظيفة.<sup>(٢)</sup>

ويستعمل معلمو المواد في شرح دروسهم العامية، وحتى معلمو العربية  
يشرح بعضهم الدروس بالعامية، ولا يعمل على تشذيب إجابة المتكلمين  
بالعامية. وفي دول الخليج كثيراً ما يكون المعلمون من بلدان مختلفة، وكل  
يتكلم بلهجته العامية، وما أعظم الفرق بين اللهجة العامية المغربية، واللهجة  
العامية المصرية أو الشامية أو العراقية!<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع السابق ص ٥

(٢) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في  
تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - مرجع سابق ص ٣٣٣.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى -  
مرجع سابق ص ١٢٢.

ومادام الأمر على هذه الحال فإن أداء التلاميذ اللغوي سينتسم بالضعف، إذ إن المتعلمين يجهلون أساسيات لغتهم وأبسط قواعدها. وإذا كانت لغة المعلمين بعيدة عن أن تكون أنموذجاً يقتدى به فمن البدهي أن تكون لغة المتعلمين في منأى هي الأخرى عن السلامة اللغوية.

أما حرية التعبير في مناهج التعليم على اختلاف مراحلها فهي مقيدة عند المعلم والطالب على حد سواء، فالمعلم مقيد بالمنهاج ولا يمكنه الخروج عن مضمونه ومحتواه وتدريباته، ولا عن الطرائق التي رسمها الموجهون الاختصاصيون له، والنقد السياسي الصريح محظور عليه وعلى المتعلمين عنده، ويحظر عليه النقد الاجتماعي فهو غير محبوب، والمس بالموروث من الطبائع والعاتات الاجتماعية المتأصلة على اختلافها يجب أن يكون بحذر وتحفظ تام، والتعبير عن رغبات النفس ونوازعها وميولها يلزم ألا يتجاوز حدود المؤلف. وأما الإقصاح عن المواقف الفكرية أو الشعورية من أنظمة الإدارات العليا فلا بد أن يكون تحت رقابة شديدة صارمة إلا إذا كانت من باب المديح أو الثناء.<sup>(١)</sup>

وهكذا تتحرك اللغة القومية ضمن دوائر ضيقة قد لا تتجاوز عند بعضهم حدود الحياة الوظيفية أو العملية المادية وما يرتبط بها، وتبقى مساحات الإبداع الفكري والتفيس الشعوري محدودة، وتصبح الحوافز للتمكين للغة أو التوسع في الإحاطة بأساليبها وطرائقها ضعيفة.

وما يزال أسلوب التحفيظ والتسميع والتلقين سائداً في تعليم اللغة وتعلمها، وما يزال الانتقال من التعليم إلى التعلم محدوداً، وما يزال المتعلمون بعيدين عن اكتساب مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، ومن أمارات هذا البعد العزوف عن المطالعة والقراءة الحرة، إذ لم يفلح القائمون على تعليم اللغة وتعلمها في تكوين عادات القراءة لدى المتعلمين وغرس الشغف بها في نفوسهم الغضة.

(١) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - مرجع سابق ص ٣٤٦.

ومن الأخطاء المرتكبة في تعليم اللغة في مدارسنا أننا لا نركز على اكتساب المهارات اللغوية ونظن أن المعرفة تؤدي إلى تكوين العادة، ولكن العادة لا تتكون إلا بعد اكتساب المهارة، والمهارة اللغوية لا تكتسب إلا بالمران والممارسة وتطبيق المعرفة في مواقف الحياة، أما حفظ القواعد النحوية والمفردات والمصطلحات البلاغية والعروضية دون ممارستها وتطبيقها في مواقف الأنشطة اللغوية في الحياة فيظل عملاً ناقصاً، ولا يؤدي إلى اكتساب اللغة وأدائها بصورة صحيحة وسليمة.

أما أساليب التقويم في العملية التعليمية التعلمية فما تزال تركز في قياسها على المستوى الأول من مستويات المعرفة ألا وهو مستوى الحفظ والتذكر والاسترجاع، وأغلب الأسئلة في الامتحانات إن في التعليم العام أو الجامعي تتمثل في: اذكر، عدّد، تحدّث، اشرح، عرف.. الخ.

وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بإنجاز دراسة عن تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، ومما جاء فيها حصر أسئلة التمرينات التي اشتملت عليها كتب النحو في الوطن العربي فوجدت أنها تدرج ضمن الأنواع التالية:<sup>(١)</sup>

١- أسئلة تعداد

٢- أسئلة ربط

٣- أسئلة تكوين

٤- أسئلة تكملة

٥- أسئلة تعرف

٦- أسئلة تحويل

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧ ص ١٣٣.



٧- أسئلة تعليل

٨- أسئلة ضبط بالشكل

٩- أسئلة اختيار من متعدد

١٠- أسئلة إعراب

وقد احتلت أسئلة التعرف المرتبة الأولى في كتب النحو بالمرحلة الابتدائية، وجاءت أسئلة الإعراب في المرتبة الثانية في سورية والأردن، واحتلت أسئلة التكملة المرتبة الثانية في كل من البحرين وقطر، وأسئلة التحويل في كل من السعودية واليمن، وانفردت مصر بأسئلة التكوين.

وتبوت أسئلة التكوين المرتبة الثالثة في كتب أربعة أقطار عربية هي: الأردن، سورية، قطر، البحرين. واحتلت أسئلة الضبط هذه المرحلة في كل من السعودية واليمن، وانفردت كتب مصر بأسئلة التكملة.

وظهرت في المرتبة الرابعة أسئلة التكملة في ثلاثة أقطار عربية هي: سورية، الأردن، اليمن، واحتلت أسئلة التحويل هذه المرتبة في قطرين هما: البحرين ومصر، وجاءت أسئلة الإعراب في هذه المرتبة في كتب قطر، والتحويل في كتب مصر.

وتبوت أسئلة الإعراب المرتبة الخامسة في ثلاثة أقطار عربية هي: البحرين، السعودية، اليمن، وجاءت أسئلة الضبط في هذه المرحلة في كل من قطر ومصر.

ولم تظهر أسئلة التعليل حتى المرتبة السابعة في ثلاثة أقطار هي: السعودية، مصر، اليمن، وجاءت في المرتبة الثامنة في دولة قطر، وفي المرتبة التاسعة في كتب البحرين، ولم ترد أسئلة تعليل في مناهج الأردن وسورية.

وجاءت أسئلة الاختيار في المراتب الأخيرة في كل من كتب مصر واليمن والبحرين، ولم تظهر أسئلة التعداد إلا في كتب سورية والأردن، واحتلت المرتبة الأخيرة فيها.

وفي المرحلة الإعدادية كانت نتائج تحليل أسئلة كتب النحو في هذه المرحلة على النحو التالي:

١- غلبة أسئلة التعرف على غيرها من أنواع الأسئلة، فما زالت تحتل المرتبة الأولى في كتب سنة أقطار عربية هي: البحرين، السعودية، سورية، العراق، قطر، مصر، على حين نازعتها في هذه المرتبة أسئلة التكوين في الجزائر والأردن والتكملة في عمان. ولحلت المرتبة الثانية في كتب كل من الأردن والجزائر وعمان، على حين جاءت أسئلة التكوين في المرتبة الثانية في كل من كتب سورية والعراق، وأسئلة التحويل تبوأَت هذه المرتبة في كل من كتب البحرين ومصر، وجاءت أسئلة الإعراب في هذه المرتبة في كل من كتب السعودية وقطر.

٢- ارتفاع نسبة أسئلة الإعراب بين الأسئلة، فقد جاءت في المرتبة الثالثة في أربعة أقطار هي: البحرين، سورية، العراق، مصر، وتأرجحت أسئلة التكملة بين المرتبتين الرابعة والخامسة، إذ وردت في المرتبة الرابعة في خمسة أقطار هي: الأردن، البحرين، الجزائر، سورية، قطر.

٣- لم تظهر أسئلة الضبط إلا بدءاً من المرتبة الخامسة، ولم تظهر أسئلة التعليل إلا بدءاً من السابعة، وجاءت أسئلة الضبط في المرتبة الأخيرة في كل من الجزائر وسورية، وفي المرتبة قبل الأخيرة في الأردن، على حين جاءت أسئلة التعليل في المرتبة الأخيرة في الأردن، وفي المرتبة قبل الأخيرة في الجزائر وعمان ومصر والبحرين.

٤- غلبة نوع معين من الأسئلة في كتب بعض الأقطار العربية، إذ تجاوزت النسبة المئوية لأسئلة التكملة في عمان النصف فبلغت ٥٤,٤٪، على حين وردت أسئلة التعليل والإعراب في المرتبتين الأخيرتين.

وكانت أسئلة الربط والاختيار والتعداد قليلة التواتر، فأسئلة التعداد لم ترد إلا في قطر واحد هو سورية، وأسئلة الربط وردت في ثلاثة أقطار هي: السعودية، عمان، قطر، وأسئلة الاختيار وردت في ثلاثة أقطار أيضاً هي: سورية، عمان، العراق.

وفي المرحلة الثانوية كشف تحليل أنواع الأسئلة في كتب النحو عن الآتي:

١- غلبة أسئلة التعرف على بقية أنواع الأسئلة، إذ جاءت في المرتبة الأولى من حيث التواتر في الكتب، واحتلت أسئلة الأعراب المرتبة الثانية في ستة أقطار هي: الأردن، السعودية، سورية، عمان، قطر، الكويت، على حين جاءت أسئلة التكوين في هذه المرتبة في قطرين هما: تونس ومصر، وتبوت أسئلة التكوين المرتبة الثالثة في خمسة أقطار هي: السعودية، سورية، عمان، قطر، الكويت، وجاءت أسئلة التحويل في هذه المرتبة في كل من تونس ومصر، وتأخرت أسئلة الإعراب عن الظهور في المرتبة الثانية إلى الرابعة في كل من تونس ومصر.

٢- عدم العناية بأسئلة الضبط والتعليل على الرغم من أهميتهما في هذه المرحلة. إذ جاءت أسئلة التعليل في المرتبة الثامنة في الأردن والسادسة في تونس ومصر، والخامسة في عمان وقطر، والسابعة في الكويت. كما جاءت أسئلة الضبط في المرتبة السابعة في الأردن وتونس ومصر، وفي المرتبة الثامنة في السعودية وقطر، وانتفتت من مناهج سورية.

٣- الاتفاق بين خمسة أقطار عربية في تسلسل المراتب الأولى والثانية والثالثة، إذ تبوت أسئلة التعرف المرتبة الأولى، والإعراب المرتبة الثانية، والتكوين المرتبة الثالثة، وذلك في السعودية وسورية وعمان وقطر والكويت.

٤- ازدياد نسبة أسئلة الإعراب، وتبوأَت المرتبة الثانية في كتب أغلب الأقطار العربية.

٥- ارتفاع نسبة أسئلة التعرف على حساب بقية أنواع الأسئلة في كل من الأردن، عمان، سورية، إذ بلغت في الأردن ٦١,٢٪ وفي عمان ٥٧,٣٪ وفي سورية ٤٢,٨٪.

٦- قلة أنواع الأسئلة في الكتب النحوية في سورية إذ بلغت ستة أنواع فقط، على حين بلغت في الكويت والأردن عشرة أنواع، وضألة ورود أسئلة الاختيار والربط والتعداد، إذ إن أسئلة التعداد لم ترد إلا في الكتب السورية، وأسئلة الربط وردت في كتب الأردن وعمان، وأسئلة الاختيار وردت في ثلاثة أقطار هي: سورية، عمان، الكويت.

وتؤكد الدراسات التربوية الحديثة أن المعرفة لا تقتصر على مستوى الحفظ والتذكر، فهذا يشكل أدنى مستوياتها، وإنما تتضمن المعرفة عدة مستويات، أدها مستوى الحفظ والتذكر والاسترجاع وأدها مستوى الحكم وبين هذين المستويين مستوى الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب.

ومن هنا يأتي دور التمرينات والأسئلة في الكتب النحوية لتسهل في تكوين المهارة اللغوية، بعد أن تقوم عملية الاكتساب على ممارسة القواعد المتعلمة والفهم في هذه الممارسة وإدراك العلاقات بينها، والتعليل والمحاكمة العقلية لوظيفة الكلمة في الجملة، ودورها في أداء المعنى.

### ثانياً- اللغة العربية في المجتمع

تنص دساتير الدول العربية على أن اللغة الرسمية في الدولة هي العربية، ولكن اليون شاسع بين ما تنص عليه الدساتير والواقع العملي في المجتمع، وإذا كانت السياسة اللغوية في العملية التعليمية التعلمية والتخطيط اللغوي في ضوءها غائبين فإن السياسة اللغوية لاستخدام العربية في المجتمع غائبة هي بدورها، وليس ثمة وعي كاف في الأعم الأغلب على مستوى القيادات السياسية والاقتصادية والثقافية بخطورة الدور الذي تؤديه اللغة في

تنمية المجتمع الحديث، كما أن ثمة غياباً للرؤية الواضحة للإصلاح اللغوي في المجتمع، إذ إن ثمة تعريباً متعثراً يواجه معارضة لا من قبل الأكاديميين في أغلب الجامعات العربية، بل من قبل بعض رواد الثقافة أيضاً.

ولقد أرادت مؤسسة الفكر العربي في مشروعها لإنقاذ اللغة العربية أن تحدد التحديات التي تواجهها اللغة العربية فألفت أن هذه التحديات تتجلى في:

- ١- سيطرة اللهجات المتداولة (العامية) في واقعنا العربي.
- ٢- عدم وجود آليات فعالة لنشر الفصحى ودعمها.
- ٣- انحصار استخدام الفصحى في قلة من النخبة المتخصصة التي تهتم بها من أجل المعيشة على أنها وظيفة.
- ٤- عدم وجود توحيد للمقررات ومحتوياتها في البلاد العربية، واجتهاد كل قطر عربي على حدة بوضع هذه المقررات.
- ٥- تنني الإعداد الأكاديمي والمهني لمعلمي اللغة العربية ومعلماتها وبخاصة في التعليم العام، والاكتفاء بإعدادهم تخصصاً لا تأهيلاً مهنيّاً.
- ٦- النظر إلى المتحدث بالفصحى أحياناً بشيء من الريبة، وأحياناً بالاستخفاف.<sup>(١)</sup>

وحاول بعضهم رصد واقع اللغة العربية في المجتمع الخليجي فوجد أن الحكومات في دول الخليج العربي تبذل من الناحية الرسمية المعلنة كل ما في وسعها من أجل دعم مواقف اللغة العربية، وتعمل جاهدة كما هو ظاهر على تعزيز مكانتها والحفاظ على قدسيّتها، من منطلق كونها لغة القرآن والدين والتراث، واللغة الأساسية الأولى للمجتمعات التي تحكمها وتديرها، وللشعوب التي ترعاها، وتسهر على مصلحتها، وقد صدر قرار لمجلس الوزراء في دولة قطر ذو الرقم ٩ لعام ١٩٨٧ ينص على تكليف جميع الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى الالتزام باستعمال اللغة العربية في مكاتبها وأي

(١) مؤسسة الفكر العربي - مشروع إنقاذ اللغة العربية - بيروت ٢٠٠٣.

بيانات تصدر عنها داخل الدولة باعتبار أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وفي الحالات التي تقتضي فيها الضرورة استعمال لغة أجنبية يتعين استعمال اللغة العربية لغة أولى، واللغة الأجنبية لغة ثانية باعتبارها ترجمة للأصل المحرر أساساً باللغة العربية، ثم أكد مجلس الوزراء قراره السابق في تشرين الثاني «نوفمبر» عام ٢٠٠٨.

بيد أن الواقع العملي في بعض مؤسسات الدول المذكورة ودوائرها ومرافقها العامة يناقض في حقيقة الأمر ما تسنه حكوماتها من قوانين نظرية، وما تعلنه من نداءات لدعم اللغة العربية وتعظيم مكانتها، بل إن من السياسات والإجراءات المعمول بها في هذه الدول ما يعمل على إضعاف اللغة والتقليل من فاعليتها، ويشكل تحدياً لمسيرتها، ويعطل في نهاية الأمر الكثير مما تهدف إليه المناهج المتعلقة بتعليمها وتعلمها، ومن أبرز وأهم ما يظهر ذلك عدم اهتمام رجال السياسة في المنطقة بسلامة اللغة على الصعيد العملي، إذ إنهم لا يستعملون العربية الفصيحة في مخاطبتهم مع جماهيرهم وفي اللقاءات الصحفية وغيرها، فيتحدثون بالعامية أو بالعربية الركيكة المحشوة بالأخطاء والتجاوزات، كما أنهم لا يتصدون للغزو اللغوي الوافد عبر العلاقات الخارجية، فتأثرت لغة المجتمع باللغات الأجنبية في كثير من مواطن استعمالها، وكان تأثرها باللغة الانجليزية من بين اللغات الوافدة هو الغالب، حيث اتسعت المجالات أمام التأثر بهذه اللغة الأجنبية، وبقي التأثر بها يمتد ويستفحل مع تزايد الحوافز والمغريات لتعلمها حتى صارت تكتسح الكثير من مواقع اللغة العربية في عدد كبير من مرافق المجتمع ومؤسساته.<sup>(١)</sup>

ولما كان الاقتصاد في هذا العصر هو عصب الحياة، وكانت البيئة العربية بيئة مستهلكة للمستورد من نتاج الغرب والشرق، رسخت الشركات الأجنبية في البلاد العربية أقدامها بالترويج للغاتها عن طريق وكلائها وسماسرتها من رجال

(١) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - مرجع سابق ص ٣٤٠.

الأعمال الذين لا يهتمهم سوى الكسب السريع دون وعي أو بوعي، بما يصيب الثقافة المحلية من التآكل والاضمحلال، فأصبحت اللغة الأجنبية لغة الأعمال التجارية، وأقصيت العربية عن مجالات العمل الاقتصادية، بل حوربت حرباً شعواء، وأصبح اجتياز اللغة الأجنبية محادثة وكتابة بنجاح شرطاً من شروط التعيين في وظائف القطاع الخاص وفي كثير من الوظائف الحكومية، وأصبحت اللغة الأجنبية لغة طبيعية مطلوبة في كثير من الأنشطة في الحياة العامة كالوظائف الطبية ووظائف السياحة والمؤسسات التجارية.<sup>(١)</sup>

ولا توجد في دول الخليج ضوابط قانونية صارمة لاستعمال اللغة الأجنبية، إذ إن دول الخليج تسمح للمؤسسات والشركات الأجنبية التي تتعاقد معها باستعمال اللغة الإنجليزية في تعاملاتها ومخاطباتها مع الجهات الرسمية وغيرها، وهكذا يتم استدراج الألسن إلى استعمال اللغة الأجنبية في المؤسسات والشركات في غياب الرقابة الرسمية الملزمة برعاية اللغة الأصلية حتى يبلغ الحد الذي تتغذى فيه الإنجليزية، ويشيع استعمالها بين غالبية العاملين في المرافق، في الوقت الذي تأخذ فيه اللغة العربية في التراجع شيئاً فشيئاً حتى تصبح هي اللغة الأجنبية بينهم.

ويمسك بزمام بعض المؤسسات والشركات في دول الخليج مسؤولون وإداريون ومستشارون عرب ممن تلقوا تعليمهم في الخارج أو أمضوا فترات طويلة في التعليم أو التدريب في البلدان الأجنبية، وبعض هؤلاء تتراجع اللغة العربية لديهم حتى يصبح من الصعب عليهم التعامل بها، ويفقد بعضهم الآخر شعوره بالانتماء إليها، أو تسيطر عليه عقدة النقص فيأنف من التعامل بها، ويتحول ولاؤه للغة الأجنبية فينبأه بمعرفتها، وعندما يتولون مناصبهم القيادية في المرافق المذكورة يصبح لهم تأثيرهم السلبي المباشر في من حولهم، أو من يعمل تحت قيادتهم وإشرافهم فيما يتعلق باللغة، وربما يكون أسوأ من تأثير الأجانب الغرباء عليها وعلى مجتمعها.<sup>(٢)</sup>

(١) الدكتور أحمد الضبيبي - أزمة اللغة العربية في التعليم - مرجع سابق ص ٢٥.

(٢) الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - مرجع سابق ص ٣٤٢.

وأدى استخدام العمالة الأجنبية في دول الخليج إلى حدوث تحولات سلبية في حياة المجتمع، فأدت هذه العلاقات الواسعة إلى اختلاط أفراد المجتمع بأجناس كثيرة ومختلفة من البشر، واتصالهم عن قرب وعن بعد بهم، والتأثر بأفكارهم وتصوراتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الحضارية وتعاملاتهم وسلوكياتهم العملية ولغاتهم وأساليب التخاطب معهم. وكان لكل ذلك آثاره السلبية على فكر المجتمع وثقافته وعلى لغته العربية، وبلغت هذه الآثار في عمقها واتساع رقعتها في السنوات الأخيرة إلى حد أصبحت فيه العربية تواجه تحديات صعبة، إذ لم تكن لتتال من اللغة العربية في أنشطتها العادية، أو في مواطن محددة من البلاد وأوساط معينة من المجتمع فحسب، وإنما شملت اللغة بجميع مستوياتها وفي مختلف مواطن استعمالها، ثم انتقلت على نحر واسع وسريع إلى مؤسسات التعليم على اختلافها، وانعكست سلبياتها حتى على مناهج تعليم اللغة العربية نفسها وعلى لغة معلمها ومتعلمها في الوقت نفسه، فأدت إلى اضطراب السنة الكثيرين منهم في استعمالها، كما أدت إلى اضطراب مواقفهم منها وتوجهاتهم إليها.<sup>(١)</sup>

وكان من نتائج ذلك كله تسرب المئات من ألفاظ اللغة الإنجليزية، وصيغها وتراكيبها إلى لغتهم، وقد تضاعف هذا التسرب، واتسعت مجالاته مع زيادة حركة التجارة والاستيراد، حيث امتلأت الأسواق بمختلف أنواع البضائع والسلع والأدوات والأجهزة والمعدات الأجنبية وألعاب الفيديو والحاسوب وغيرها حاملة معها أسماءها وصفاتها وعناوينها وتعريفاتها بلغات البلدان التي أنتجتها وصدرتها، وغالبها من البلدان الناطقة بالإنجليزية أو المفضلة للتعامل بها في نشاطاتها التجارية.

وإن السلطات الحاكمة التي بيدها الحل والعقد وصناعة القرار وتنفيذه صامتة لا تتخذ أي إجراءات أو مواقف عملية صريحة وصارمة لحماية لغتها، والحفاظ عليها في مواجهة المد الكاسح الذي تواجهه اللغة العربية.<sup>(٢)</sup>

(١) المرجع السابق ص ٣٢١.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢٤.



وهكذا نجد أن لغة المجتمع العربي في منطقة الخليج تواجه سيلاً من الكلمات والصيغ والعبارات الأجنبية التي تخترق حياة هذا المجتمع بمختلف مجالاتها وتفاصيلها، وتتراكم إلى جانب الألفاظ والصيغ العامة الدارجة البعيدة الأصول، لتشكل حائلاً بينه وبين لغته الأصلية الصامته.

وتزداد هذه الخطورة عندما تتسحب هذه الألفاظ والتعبيرات الأجنبية الدخيلة والهجينة إلى أوساط الناشئة في أسرهم، أو في مراحل تعليمهم، وتسفر في أذهانهم لتزيح بدائلها الفصيحة، في الوقت الذي لا تبدو فيه أي بوادر من أي جهة تملك السلطة والإدارة لإيقاف الزحف اللغوي الأجنبي أو الحد من تأثيراته، ولا نجد شروطاً أو قوانين صارمة وصريحة تقضي بضرورة استعمال اللغة الأصلية في تعاملات المجتمع وأنشطته اللغوية، ولا حظراً أو تقييداً على استخدام الأجنبية في أي مرفق من مرافق الحياة العامة أو الخاصة، ولا رقابة أو تحديد على ما يزحف من ألفاظ هذه اللغة الأجنبية وعباراتها وتراكيبها أيّاً كانت طريقة الزحف أو وسيلته، كما أن المقاومة أو المناعة اللغوية الذاتية للفرد العربي تبدو ضعيفة، وضعفها يزداد يوماً بعد يوم مع تكاثر الأسباب لزيادة نفوذ الانجليزية نفسها وقوة اختراقها.<sup>(١)</sup>

يضاف إلى ذلك كله انتشار اللهجات العامية واختلافها في النطق والأداء والتصريف من مثل خطاب الأنثى الذي يتميز عن خطاب الذكر، ونطق الجيم المعطشة بدلاً من القاف «أبو الجاسم بدلاً من أبي القاسم»، وأحياناً تتطوق غيناً: عبد الغادر بدلاً من عبد القادر، وعيد الاستغلال بدلاً من الاستقلال، وليلة الغدر بدلاً من القدر، والمغرر بدلاً من المقرر.. الخ. وأحياناً يلبس عليك الأمر ففي قولك فلان غريب بالنسبة إلي، فلا تدري أهو غريب من الغربة على ظاهر اللفظ أو المقصود أنه قريب منه، ومن ذلك قلب الجيم ياءً فسجاجيد تتطوق سيديد، ورجال: ريال.. الخ.

(١) المرجع السابق ص ٣٥٤

ومن الأخطار التي تواجهها اللغة العربية في الخليج خطر اللهجات الآسيوية، وهي عاميات منتشرة نظراً إلى كثرة العمالة الآسيوية في الخليج، وهذه اللهجات لم تعد لتهدد العربية في السوق ومجالات العمل فقط، بل حتى داخل البيوت نفسها، فتجد في البيت الواحد عدة جنسيات يتكلمون عدة لغات، وهؤلاء - خصوصاً الخادمت والمربيات - هم الذين يختلطون بالأطفال في سن التأثر والتلقي، ويكلمونهم بلغاتهم، فينشأ الطفل بعيداً عن لغة أمه العربية التي قلما تفرغ له، وعن لغة أبيه المشغول عنه بعمله وتجارته ومهنته وأصدقائه.<sup>(١)</sup>

وثمة ظاهرة أخرى في دول الخليج تجور على استعمال العربية الفصيحة، وتتمثل في انتشار الشعر النبطي على حساب الشعر العربي الفصيح، حيث تقام له المهرجانات، وتخصص له الجوائز الكبيرة والمكافآت كجائزة «شاعر المليون».

وإذا انتقلنا إلى دول المغرب العربي فإننا نلاحظ أن الدستور ينص على أن اللغة المستعملة في دول المغرب العربي هي العربية، ولكن على مستوى الإدارة مازالت الفرنسية هي المستعملة في المغرب إن في الكتابة أو في الخطاب، وثمة انتشار متزايد للغة الفرنسية في أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، وفي الإعلانات والعناوين التجارية وأسماء الأمكنة التي تكتب حسب النطق الفرنسي، وإذا ما أريد كتابتها بالحرف العربي وقع فيها التحريف على نحو زنقة القاضي عياض، فقد تحولت إلى زنقة القاضي عياد، وزنقة ابن الأبار تحولت إلى العبار، مع الإشارة إلى أن الأخطاء في تلك العناوين والإعلانات لم تخل من أخطاء فادحة في صيغتها الفرنسية.

ولا يستعمل المسؤولون ورجال الدولة والأعمال إلا هذه اللغة في الأعم الأغلب إن في اجتماعاتهم أو في أحاديثهم أو في استجواباتهم مع تلك الأجهزة، ومثل ذلك يقال فيما يجري في معظم الندوات والمؤتمرات ولاسيما ما يتصل منها بجوانب علمية أو تقنية بحجة عدم إسعاف المصطلحات

(١) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى -

مرجع سابق ص ١٢٧.

للإلزام لها، مع أن السبب الحقيقي كان هو نظرته السلبية للغة الوطنية، إضافة إلى تكوينهم الفرنسي الذي يجعلهم لا يحاربون العربية فقط، بل حتى الإنجليزية والإسبانية وإن في الخفاء.<sup>(١)</sup>

وفي الحياة العامة في المجتمع يتزايد استعمال العامية في الإعلام ولاسيما لتمثيلات والمسرحيات والمسلسلات وما يقدم من أحاديث واستجابات بغير الفرنسية.

ويساعد على هذا الاستعمال للعامية انتشار الأمية في جانبيها الأبدي والثقافي، وإذا كان الوضع اللغوي في المغرب يتسم بوجود عدة لغات متنوعة إلى جانب العامية واللغة العربية كالأمازيغية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية فإن وضعية لغوية مركبة ترتبت على مستوى التخاطب تمثلت في وجود خليط لغوي هجين ناتج عن استعمال لغة على حساب أخرى، فالفرد يوظف أحياناً في الخطاب نفسه عناصر من العامية، وأخرى من الفرنسية ومن غيرها دون شعور بحيث يجد صعوبة في التركيز على نسق واحد إما بسبب ضعف كفايته اللغوية أو بفعل التعود والاستماع.<sup>(٢)</sup>

كما أن إبعاد العربية عن مجالات العلوم وحصر دورها في التكوين الأدبي والقضائي أدى إلى الاستعانة بلغة أجنبية أو أكثر، وهو في نظر المسؤولين حل وسط، إلا أن النتيجة جاءت مخالفة لما كان ينتظره الميثاق، فبدلاً من التعدد اللغوي الإيجابي حل محله الضعف اللغوي من جرّاء تداخل الأنساق.<sup>(٣)</sup>

وفي الجزائر احتدم التمييز اللغوي والثقافي في مجال السياسة اللغوية التي تؤدي إلى ربط العمل باللغة، فيعتقد الناس أن الفرنسية هي اللغة الراقية التي تتيح فرص العمل والرقي الاجتماعي والاقتصادي لمن يتقنها، وأن اللغة الوطنية عائق يحول دون هذه الميزة المهمة، فتهيمن الفرنسية على السوق

(١) الدكتور عباس الجراري - واقع اللغة العربية في المغرب - مرجع سابق ص ٧

(٢) الدكتور عباس الصوري - في الوضع اللغوي بالمغرب - مرجع سابق ص ٦

(٣) المرجع السابق ص ٩

اللغوي، وتكون عنصراً ضاعطاً يعمق هيمنة النخبة الناطقة بها، ويرسخ التبعية واللامساواة الاجتماعية والثقافية واللغوية.<sup>(١)</sup>

وهكذا أضحت الفرنسية أداة لسيطرة النخبة المتقنة لها وعنصراً طبقياً ذا قيمة اقتصادية تتولى الأعمال المهمة في المجتمع على حساب اللغة العربية، وتتاضل من أجل مصالحها والسيطرة على السلطة والقرار، وأثر ذلك في وضع السياسات اللغوية واتخاذها وسيلة للتحكم في المجتمع بوضع منظومة تربوية تحقق هذه الأهداف وتحافظ عليها، وما تزال أزمة الاقتصاد والتهميش تنال الذين يستعملون اللسان العربي، ويحملون الإجازات بهذا اللسان، فلا يقبلون في سوق العمل في حين أنه مفتوح للغة الفرنسية العمل والإدارة والتسيير، وتعتقد الجماعة المغربية أن الفرنسية هي لغة الحداثة، وأنها وسيلة سحرية لنقل البلاد من التخلف إلى التقدم، وغدا الناطقون بها المسيطرين على المناصب الرفيعة، وبات الشباب والشابات يقبلون على تعلمها رغبة في الترقى الاجتماعي والرواتب العالية والامتيازات المادية.<sup>(٢)</sup>

وإذا كانت اللغة العربية على نطاق الساحة القومية تتأى عن السلامة اللغوية في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية من جراء استعمال العامية في المسلسلات التلفزيونية وفي المسرحيات واللقاءات والحوارات والأغاني.. الخ فإن ظاهرة الإعلانات هي الأخرى تتأى عن استعمال العربية السليمة حيث تشغل لافتاتها أسطح المباني والميادين العامة ومنعطفات الطرق وواجهات الأبنية الكبيرة، والمركبات العامة وواجهات المحلات التجارية، ولا تخلو منها أغطية المشروبات، وأغلفة المأكولات وجدران الملاعب وملابس الأطفال واللاعبين والكبار، وكل ما يمكن أن تقع عليه العين في الحياة العامة المدنية<sup>(٣)</sup>. ولم تقتصر الإعلانات على تلك الأماكن والمواضع وإنما شقت طريقها إلى الصحف وقنوات الإرسال المسموعة والمرئية.

(١) الدكتور عمار الطالبی - وضع اللسان العربي في الجزائر - مرجع سابق ص ١٠٢

(٢) المرجع السابق

(٣) الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - مرجع سابق ص ١٨٧.

وهذه الإعلانات مصوغة بالعامية أو بالعربية المحشوة بالأخطاء، أو بالكلمات الأجنبية، وهذا كله يسهم في تشويه اللغة العربية. وهذه الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية تتمثل في تلك الإعلانات في جميع الدول العربية، ومن هذه الإعلانات:

الصواب	الخطأ
ديارك دارها	ديارك داريها
عش سعيداً	عيش سعيد
ضوء القناديل	ضي القناديل
اللهم صلّ على النبي	اللهم صلّي عالنبي
الله يحميك	الله يحميكي
عين الله ترعاك	عين الله ترعاكي
لا ترم	يا حباب لا ترمي
قوّ قلبك	قوّي قلبك
قريباً ستحل	اربت تتحل
الوردة البيضاء	وايت روز
البندقة	لانوازيت
الزاوية	لوكوان
مرحباً	هاي
إلى اللقاء	باي

وفي العامية المصرية: ما تقلش عاوز أي حاجة ساقعة، قول عاوز كوكاكولا بدلاً من: «لا تقل لي: أريد أي مشروب بارد، قل أريد كوكاكولا أو: «لا تطلب أي مشروب بارد، ولكن اطلب كوكاكولا».

ولو كان ثمة تخطيط لغوي في ضوء سياسة لغوية واضحة وقوانين رادعة لما عمد أصحاب الإعلانات إلى هذا التلوث اللغوي في إعلاناتهم إن في استخدام العامية أو الكلمات الأجنبية أو العربية المحشوة بالأخطاء.

## ثالثاً- اللغة العربية والتقانات الحديثة

كانت الطرائق التقليدية للتقنية هي المتبعة في تعليم اللغة العربية وتعلمها، ولما كان القائمون على تعليم اللغة وتعلمها يستعملون التقانات في تنفيذ دروسهم، إذ إن التقانات الحديثة من عرض الصور والمختبرات اللغوية والحقائب التعليمية والمسجلات والأفلام... الخ كانت تستخدم في تعليم اللغات الأجنبية، حتى إن بعض المسؤولين عن العملية التربوية كانوا يظنون أن اللغة العربية لا تعلم في المختبرات للغة، وأن تلك المختبرات اللغوية تعلم بها اللغات الأجنبية فقط.

وفي العقود الأخيرة كانت ثمة عناية بالنقنيات التربوية في تعليم اللغة العربية وتعلمها في مختلف المراحل التعليمية، ولاسيما الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، فاستخدمت المجسمات والصور المعبرة والتسجيلات والأفلام، وتعددت الوسائل، فظهرت الحقائب التعليمية أو الرزم التعليمية، وبثت التلفزة البرامج الثقافية والتربوية الموجهة إلى الأطفال، وعرضت بعض الدروس عبر القنوات الفضائية، وصممت الدروس ونفذت بواسطة الحواسيب... الخ.

بيد أن هذه الجهود كافة لم تكن بكافية، فما يزال تعليم اللغة العربية وتعلمها يشكو القصور والفاقة في التنفيذ باستخدام الوسائل المعنية. ومن يقارن بين تعليم اللغات الأجنبية وتعليم اللغة العربية يجد بوناً شاسعاً بين الوسائل المستخدمة في تعليم الأجنبية والفقر في الوسائل المستخدمة في تعليم اللغة العربية، ويعد الغنى هناك عاملاً إيجابياً مساعداً على الإقبال على تعلم اللغة الأجنبية، كما يعد فقر الوسائل في تعليم اللغة العربية عاملاً سلبياً في عدم الإقبال عليها بكل دافعية واهتمام.

ولم تكن الشكوى مقتصرة على فقر الوسائل في العملية التعليمية التعليمية، وإنما ثمة شكوى من ضالة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة «الإنترنت»، فما المقصود بالمحتوى الرقمي؟ وما وضع المحتوى الرقمي باللغة العربية؟

### ١- المحتوى الرقمي باللغة العربية

طالما يتردد مصطلح المحتوى الرقمي في الحياة التقنية المعاصرة، ويشتمل هذا المصطلح على البيانات وتعد المادة الخام، وعلى المعلومات وهي

نتاج معالجة البيانات، وعلى المعارف وهي الخبرات والتجارب البشرية عبر التاريخ والحضارات والأجيال.

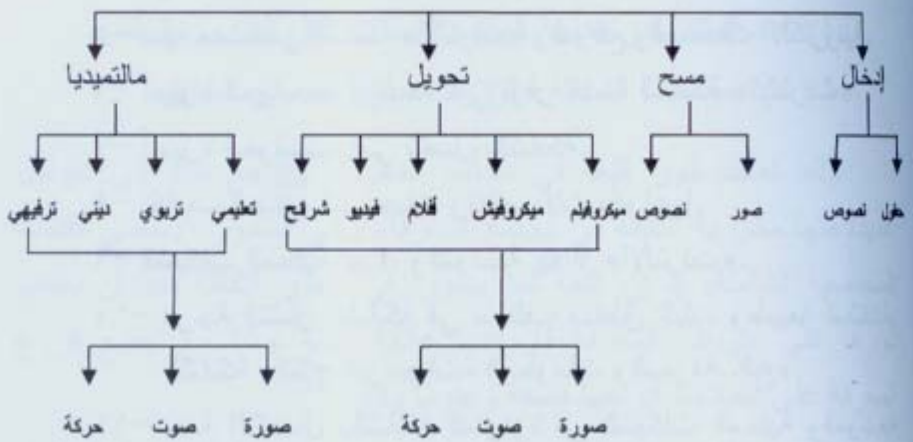
أما وسائط المحتوى فقد تطورت حتى وصلت إلى المحتوى الرقمي على النحو المبين في الشكل التالي:

### تطور وسائط المحتوى



وأما رقمنة المحتوى فنتمثل في الآتي:

### رقمنة المحتوى



ويتمثل المحتوى الرقمي في الآتي:

### المحتوى الرقمي



وكلما يتقدم المجتمع في استعمال التقنية يعد ذلك مؤشراً على دخوله مجتمع المعرفة، وثمة قياسات ومؤشرات محددة يتطلبها تقويم مجتمع المعرفة في بلد ما، ومن هذه المؤشرات:

- ١- عدد الباحثين والمهندسين والمتخصصين والعلميين المعلوماتيين في المجالات والمؤسسات البحثية والمهنية والتعليمية ونسبتهم إلى عدد السكان.
- ٢- المنتجات البحثية المعرفية والعلمية وتقانة المعلوماتية بأنواعها المادية والفكرية.
- ٣- نوعية السلع التقنية الحاسوبية والاتصالية الملموسة من أجهزة وأدوات ووسائل وقنوات ووسائط متنوعة.
- ٤- الخدمات والنظم والمخططات والآليات والتصميمات المعلوماتية في مراحل الإعداد والتخطيط والتنفيذ والتطبيق والعمليات الإدارية المختلفة.
- ٥- نسبة مستخدمى الشبكة «الإنترنت» والمواقع والصفحات الالكترونية.
- ٦- أجهزة الحواسيب الرئيسية التي توفر خدمة الشبكة «الإنترنت».
- ٧- أجهزة الحواسيب التي تتصل بالشبكة.
- ٨- تكاليف العتاد والبرمجيات والاتصالات بأنواعها.
- ٩- الشبكات المحلية Lan، والموسعة Wan «الإنترنت».
- ١٠- درجة انتشار الشبكة في مختلف مناطق البلد، وطبيعة استخدام الشبكة «إنتاج البرمجيات، المعلومات والمعرفة.. الخ».
- ١١- سعة الاتصال بالشبكة المتوفرة في الشبكات المحلية والموسعة للاتصال بالشبكة.
- ١٢- قياسات أمية الحاسوب.
- ١٣- الهواتف والطاقة الكهربائية.
- ١٤- مؤشرات استخدام اللغة والرموز القومية.
- ١٥- مؤشرات الترجمة المعلوماتية.<sup>(١)</sup>

---

(١) الدكتور علي محمد رحومة - مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي - الطبعة الأولى - الجامعة المغربية - طرابلس ٢٠٠٧ ص ٤٤.



ومن مؤشرات رأس المال المعرفي كما نشره تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣:

- ١- متوسط سنوات التعلم للفرد مرجحاً بنوعية التحصيل العلمي.
- ٢- عدد الصحف اليومية لكل ألف من السكان.
- ٣- عدد أجهزة المذياع لكل ألف من السكان.
- ٤- عدد العلماء المهندسين لكل مليون من السكان.
- ٥- عدد طلبات تسجيل براءات الاختراع لكل مليون من السكان.
- ٦- عدد الكتب المنشورة لكل مليون من السكان.
- ٧- عدد خطوط الهاتف الرئيسية لكل ألف من السكان.
- ٨- عدد المشتركين بخدمة الهاتف المحمول لكل ألف من السكان.
- ٩- عدد حواسيب الشبكة «الإنترنت» لكل ألف من السكان.<sup>(١)</sup>

ولقد تعاضم دور اللغة في مجتمع المعرفة، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة منها محورية الثقافة في مجتمع المعرفة، وهي المحور الأساسي للتنمية المجتمعية الشاملة، إذ إن اللغة تعد محوراً في محور الثقافة بعد أن تعاضم دورها على خريطة المعرفة فازدادت علاقة اللغة توثقاً مع جميع فروع المعرفة على اختلاف أنواعها فلسفة وعلومًا وفنوناً.<sup>(٢)</sup>

وتؤدي اللغة دوراً رئيساً في اقتصاد المعرفة، ومن المنتظر أن يتعاضم هذا الدور مع اتساع مجالات المعلوماتية في تطبيقاتها التعليمية والثقافية. ومن هنا يعد التخلف اللغوي تنظيراً وتعلماً واستخداماً ومعالجة آلية بوساطة الحاسوب من الأسباب الرئيسية للفجوة الرقمية، وهذا يفسر ما تبديه شعوب العالم حالياً من اهتمام شديد بلغاتها القومية فيما يتعلق بالشبكة «الإنترنت».

(١) المرجع السابق ص ٧٢

(٢) الدكتور نبيل علي - الإنترنت ونقل المعرفة في الوطن العربي، المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

وتكمن الفرصة الرئيسية لتطوير المحتوى الرقمي العربي في وحدة اللغة بين البلاد العربية وفي التواصل الثقافي والاجتماعي بين أقطارها، إذ إن وحدة اللغة تتيح فرصاً لإيجاد سوق واسعة تضم في الحاضر ما يزيد على /٣٥٠/ مليون نسخة في مجالات الإعلام والترفيه والأعمال والتجارة. والتفاعل الثقافي والاجتماعي يخلق حافزاً للمقارنة والمنافسة بين البلدان العربية في كل المجالات بما فيها مجالات الخدمة العامة. وتتيح الثورة الرقمية والاقتصاد الرقمي الجديد فرصاً وتحديات للحكومات العربية للنهوض السريع بمجتمعاتها واقتصادياتها على أسس متينة لتثبيت الحداثة والإصلاح.<sup>(١)</sup>

ومع تزايد التحول نحو المحتوى الرقمي على الشبكة برزت إلى السطح أهمية استخدام اللغات الوطنية للحد من الاعتماد الكامل على اللغة الانجليزية لأسباب تتعلق بالحفاظ على الهوية والتراث.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية هي إحدى اللغات الست المستخدمة في الأمم المتحدة لم يحظ المحتوى الرقمي العربي على الشبكة بالاهتمام في محركات بحث «الويب»، وهذا يرجع إلى ضعف الخصائص الآلية لمحركات البحث في دعمها للغة العربية، ويعد محرك البحث Google أفضل المحركات في التعامل مع العربية، غير أنه لم يستخدم أياً من آليات البحث المتخصصة للتعامل مع اللغة العربية.<sup>(٢)</sup>

وإن تخلف صناعة المحتوى في وطننا العربي ليس سببه عدم توافر الموارد المادية أو قلة المواهب أو عدم توفر الأسواق، بل يرجع التخلف إلى عدم وجود السياسات والرؤية المستقبلية وضعف صناعة المحتوى، وضعف جهود البحث والتطوير في استخدام اللغة العربية وتطوير أدواتها الحاسوبية، وضعف البيئة التمكينية لمساهمة القطاع الخاص في صناعة المحتوى وضمور العرض وضعف الطلب.

---

(١) أبو السعود إبراهيم - المحتوى الرقمي العربي - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي - دمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.  
(٢) المرجع السابق.

وعزا بعضهم «أسباب تدني استخدام التقانة إلى التأخر في انتشار لشابكة «الإنترنت» في الوطن العربي وإلى نسبة الأمية المرتفعة وعدم وجود حماية فكرية للنشر الإلكتروني وقلّة التطبيقات الإلكترونية العربية»<sup>(١)</sup>.

ولقد جاء في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشرية لسنة ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ أن معدل معرفة القراءة والكتابة في ليبيا عام ٢٠٠٤ كان ٨٧،٤٪، وفي تونس ٧٤،٣٪، وفي الجزائر ٦٩،٩٪، وفي المغرب ٥٢،٣٪، وفي موريتانيا ٥١،٢٪، وأن نسبة ٦٧٪ هي لمتوسط نسب الاتحاد المغربي، وهي نسبة ضعيفة أي أن ٣٣٪ من سكان دول المغرب العربي أميون، أي أن ثلث السكان لا يعرفون القراءة والكتابة معظمهم في المغرب وموريتانيا.

وعلى الرغم من أن اللغة الأم تشكل الأداة الأهم في تداول المعلومات وتوليد المعارف، فإن الخطر الكامن على اللغة العربية يأتي من تهميشها تدرجياً على أنها لغة عمل وتواصل، ومن ضعف الأدوات المعلوماتية الأساسية لمعالجة اللغة العربية وما هو متوافر منها حالياً لا يلبي الحاجات<sup>(٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن عامة الناس هم الذين يستهدفون في بناء مجتمع المعرفة العربي ويحتاجون إلى استعمال اللغة العربية على الشابكة، ويؤدي استخدام اللغة العربية في مواقع الشركات العالمية التي تتوجه نشاطاتها نحو المنطقة سواء أكانت هذه النشاطات تجارية أو ثقافية إلى توسيع فرص العمل للناطقين باللغة العربية وبصورة خاصة في دول الخليج العربي، حيث ستضطر هذه الشركات إلى الاستعانة بمطوري مواقع ويب العربية، ومحررين ومترجمين عرب لإدارة تلك المواقع، كما يؤدي استعمال اللغة العربية في مواقع التجارة الإلكترونية العربية - العربية إلى توسيع قاعدة مستخدمي الشابكة سواء في البيع أو الشراء أو التعاملات المصرفية وتحويلها

(١) الدكتور منصور فرح - اللغة العربية على الإنترنت: منظور إقليمي - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

(٢) المرجع السابق.

إلى خدمة شعبية لا تقتصر على من يتقن الإنجليزية مما يسرع في انتقال مجتمعاتنا إلى الاقتصاد الرقمي.<sup>(١)</sup>

وثمة شكوى على نطاق الساحة العربية من ضآلة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة «الإنترنت»، إذ إن نصيب اللغة العربية على هذه الشبكة لا يتجاوز الـ ١٪، وقد أبانت نتائج دراسة المحتوى الرقمي العربي عام ٢٠٠٣ أن هذا المحتوى العربي ضعيف، وأبانت نتائج الدراسة عام ٢٠٠٨ أن هذا المحتوى ما يزال ضعيفاً.

ومن الشواهد على هذا الضعف أن محتوى الموسوعة العربية الحرة من حيث الحجم لا المضمون يماثل تقريباً ربع محتوى مقابقتها السويدية، علماً بأن متكلمي السويدية لا يزيد على تسعة ملايين في حين أن متكلمي العربية يزيدون على ٣٠٠ مليون. وحتى تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ٢٠٠٨ كان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربية الحرة ٧٧،٠٠٠ مقال تقريباً، وفي اللغة السويدية نحو ٢٩٠،٠٠٠ مقال.<sup>(٢)</sup>

ولقد صارت مساحة المحتوى على الشبكة «الإنترنت» في العالم بحجم هذا العالم وحاجاته، وصارت تشكل كماً مدهلاً من المعلومات في حقول المعرفة المختلفة من العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية والبحث وشؤون الاقتصاد والمال والطب والسياسة، وهي منظمة في بنوك معلومات ومواقع جامعات وشركات ومراكز بحوث، وأكثرها مصوغ باللغة الإنجليزية مما يحرم أغلب أبناء شعبنا العربي القدرة على الاستفادة من كل ما تزخر به الشبكة.

ومن يعد إلى الإحصاءات التي تدل بلغة الأرقام على وضع اللغات المختلفة على الشبكة يدهشه أن يرى أن لغة المحتوى هي الإنجليزية أولاً،

---

(١) الدكتور عبد القادر الكامل - المحتوى الرقمي العربي - النمو والأهمية الاقتصادية - المؤتمر

الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي - دمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

(٢) الدكتور نور الدين شيخ عبيد - المحتوى الرقمي العربي: صورة لحقيقة - المؤتمر

الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي - دمشق - حزيران «يونيو» ٢٠٠٩.

ونصيبها ٦٧٪. أما اللغة العربية فنصيبها ١،٥٪، وهذا يدل على حجم التّصغير الكبير الذي يعزل نحواً من ٨٠٪ من أبناء شعبنا عن دخول هذه المدارات المواترة بالمعرفة في حدودها الكونية.

وثمة إحصاءات أخرى تشير إلى أن المحتوى الرقمي العربي يبلغ ٠،١٦٪ من المحتوى العالمي، وأن عدد المستخدمين العرب للشابكة «الإنترنت» أقل من ٢٪، مع أن عدد الناطقين بالعربية يصل إلى ٥٪ من سكان العالم.<sup>(١)</sup>

ويقدر عدد صفحات (الويب) المفهرسة من قبل محركات البحث بنحو ٧٠ مليار صفحة، ويقدر عدد صفحات «ويب العربية» المفهرسة من قبل محركات البحث بنحو ٧٥٠ مليون صفحة، فتكون نسبة عدد صفحات «ويب العربية» إلى إجمالي صفحات «الويب» بنحو ٠،٩٣٪ في منتصف هذا العام ٢٠٠٩.

أما توزيع المحتوى العربي وفق النطاقات فتدل الإحصاءات على أن المحتوى العربي المسجل تحت النطاقات العامة يبلغ ٩٪، وأن المحتوى العربي المسجل تحت النطاقات العليا للبلاد العربية ٧٪، وأن هذا المحتوى للبلدان غير العربية ٣٪.<sup>(٢)</sup>

## ٢- مستخدمو الشابكة (الإنترنت) في الوطن العربي

تشير آخر الإحصاءات لعام ٢٠٠٦ إلى أن عدد مستخدمي الشابكة «الإنترنت» من الاستخدام العالمي بلغت نسبته ٠،٧٦٪ من عدد المستخدمين في العالم للشابكة «الإنترنت»، وكانت أهم نسب الإحصاءات لعام ٢٠٠٦ على النحو التالي:<sup>(٣)</sup>

- (١) الدكتور منصور فرح - اللغة العربية على الإنترنت - مرجع سابق.
- (٢) للدكتور عبد القادر الكاملي - المحتوى الرقمي العربي - النمو والأهمية الاقتصادية - مرجع سابق.
- (٣) الدكتور علي محمد رحومة - مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي - مرجع سابق ص ٢٣٨.

عدد سكان العالم ٦,٤٩٩,٦٩٧,٠٦٠

عدد سكان العرب ٣٥٠,٨٠٣,٣١٦

نسبة سكان العرب إلى سكان العالم ٤,٨٧٪

عدد سكان المغرب العربي ٨٢,٤٧٧,٥٥٣ نسمة

نسبة سكان المغرب العربي إلى سكان العالم ١,٢٧٪

نسبة سكان المغرب العربي إلى السكان العرب ٢٦٪

عدد مستخدمي الشبكة (الإنترنت) العرب ٢٣,٤٣٩,٤٠٠ مستخدم

عدد مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في العالم ١,٠٨٦,٢٥٠,٩٠٣ مستخدم

عدد مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في المغرب العربي ٧,٦٩٢,٠٠٠ مستخدم

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في العالم إلى عدد سكان العالم

١٦,٧٪

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) العرب إلى المستخدمين في العالم ٢,١٦٪

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) العرب إلى عدد السكان ٧,٤٪

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في المغرب العربي إلى عدد السكان ٩,٣٪

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في المغرب العربي إلى المستخدمين

العرب ٣٢,٨٢٪.

نسبة مستخدمي الشبكة (الإنترنت) في المغرب العربي إلى المستخدمين

في العالم ٠,٧١٪.

ويبين الجدول رقم (١) مدى استخدام الشبكة في الدول العربية في

الأعوام ٢٠٠٠ و ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦ ونسبة المستخدمين لعدد

السكان<sup>(١)</sup>.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٧

## الجدول رقم (١)

استخدام الشبكة (الإنترنت) في الدول العربية للسنوات (٢٠٠٠، ٢٠٠٤، ٢٠٠٦) وأهم نسب الإحصاءات (٢٠٠٦).

نسبة لمستخدمين لعدد السكان %	عدد لمستخدمين ٢٠٠٦/٩/١٨	عدد لمستخدمين ٢٠٠٤/٩/٣٠	عدد لمستخدمين في ٢٠٠٠/١٢	عدد السكان (٢٠٠٦)	البلد
٣٦,١	١,٣٩٧,٢٠٠	١,١١٠,٢٠٠	٧٣٥,٠٠٠	٣,٨٧٠,٩٣٦	الإمارات
٢٦,٦	٧٠٠,٠٠٠	٥٦٧,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	٢,٦٣٠,٧٧٥	للكويت
٢١,١	١٥٢,٧٠٠	١٩٥,٧٠٠	٤٠,٠٠٠	٧٢٣,٠٣٩	البحرين
٢٠,٧	١٦٥,٠٠٠	١٢٦,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٦٤٩,٦٠٠	قطر
١٥,٥	٧٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٤,٥٠٩,٦٧٨	لبنان
١٥,٢	٤,٦٠٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٣٠,١٨٢,٠٣٨	لمغرب
١١,٩	٦٢٩,٥٠٠	٤٥٧,٠٠٠	١٢٧,٣٠٠	٥,٢٨٢,٥٥٨	الأردن
١٠,٨	٢,٥٤٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٢٣,٥٩٥,٦٣٤	للسعودية
١٠,١	٢٤٥,٠٠٠	١٨٠,٠٠٠	٩٠,٠٠٠	٢,٤٢٤,٤٢٢	عمان
٩,٣	٩٥٣,٠٠٠	٦٣٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٠,٢٢٨,٦٠٤	تونس
٧,٨	٢,٨٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٣٥,٨٤٧,٤٠٧	السودان
٧,٥	٢٤٣,٠٠٠	١٤٥,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	٣,٢٥٩,٣٦٣	فلسطين
٧	٥,٠٠٠,٠٠٠	٢,٧٠٠,٠٠٠	٤٥٠,٠٠٠	٧١,٢٣٦,٦٣١	مصر
٥,٨	١,٩٢٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٣٣,٠٣٣,٥٤٦	الجزائر
٤,٢	٨٠٠,٠٠٠	٢٢٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	١٩,٠٤٦,٥٢٠	سوريا
٣,٤	٢٠٥,٠٠٠	١٦٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٦,١٣٥,٥٧٨	ليبيا
٣	٢٠,٠٠٠	٥,٠٠٠	١,٥٠٠	٦٦٦,٠٤٤	جزر
١,٢	٩,٠٠٠	٦,٥٠٠	١,٤٠٠	٧٧٩,٦٨٤	جيبوتي
١,١	٢٢٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠	٢٠,٧٦٤,٦٣٠	اليمن

